الإمام جعفر الصادق (ع) ونظرية البطل في التاريخ
- الاستحقاق والتغييب -

الأستاذ الدكتور
أحمـد ناجـــي

هوية الكتاب

الإهداء

الى كل من كان همه الحقيقة ولا شيء غير ذلك

المحتويات

المقدمة

كم هي ثقيلـة الوطـأة ، خطوة من منـع الحقيقـة أن تتصدر كتب التاريخ ، وكم هي ثقيلة تلك التجاوزات بحق أرث مغيب لو شاءت كتب القرون مجتمعة ما حوته ، وكم هو طول أنـاتكم وصبركم إزاء حقوقكم وهي تهضم لا لشيء سوى أنها تؤسس لفكركم النير سادتي أهل البيت . مئات الأجيال ممن كانت ولا زالت تتقدم في تخطيها الزمن ، وأجيال لاحقـة ستلحق بالركب ، تجهل أن لـديكم سـادتي ، أهل البيت تـأريخ مغيب كهذا الذي أبت الأقدار إلا أن تظهره[1] .

وإذا مـا علمنـا أن أرادة الله هـي التـي تنتصـر ، فمـن فضـله علينـا أن تغيرت الأحوال ، إذ زالت الغمامة وهطل المطر ، وكـان مـن ضـمن هـذا الغيث أن يتحقق للفكر حريتـه ، فطفقنـا نبحـث فـي المخفـي مـن هـذا الفكر ، لنقف ويقف الجميع مذهولا مرتبكا مما تشـهد عينـاه مـن عطـاء أنسـاني كبيـر مغيـب ، تجسـد فـي مخرجـات ثلـة مـن المـؤمنين ، أخـذوا

1يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، التوبة 32/

على عاتقهم تنقية الإنسان مما علق به من أدران الدنيا وأهوالها ، والتأسيس لمسار حسن صحيح ، وإلغاء نقيضه وإقرار الفضيلة . وتبين لنا أن هذا الإحسان لا يلتقي وتوجه السلطان فقد تعارض ومسار حكمه المستبد ، وحينها شمر هذا السلطان عن ساعديه وحفّز قدميه وعقف حاجبيه وأغمض عينيه وكشر عن نابيه ، وساد الصمت في القاعة لما سيقوله السلطان صاحب الأمر المطاع : ((لا تأريخ سوى تأريخنا ، وما يكتب دون ذلك فليس بصحيح)) . وكان قرارا ملزما للجميع ، وعلى مر العصور الخاوية بات لا تأريخ يدون سوى تاريخ الحاكم المطاع ومن يخالف هذا الأمر ، فأن رأسه للسباع سيكون متاع !! .فبدأت الأقلام تكتب ما يقوله هذا الحاكم والسلطان المطاع ولا شيء آخر يمكن أن يدون أو أن يكون، فجل ما يكتبه الآخر ، يعد خزعبلات وأفكار مجنون ، فلا نأبه لها وإن ضمها كتاب حر مركون ، فليس من حق الأجيال أن تتطلع على كل ما يدون وما يقال جدا بوضوح !! .

وهكذا طفقنا ومنذ تعليمنا الابتدائي بل ومنذ مئات السنين ،قد أيقنت الأجيال أن لا تاريخ للمبدعين ! ولا تاريخ للمعارضين ! ولا تاريخ للمتدينين ! ولا تاريخ للجماهير ! ، بل إن التاريخ هو ما يفعله الملوك والسلاطين وما دون ذلك فلن يكون سوى خزعبلات ومسير نحو المنون ! .

وبوصفنا نبحث في التاريخ المغيب لآل البيت ، الذي خاله الكثير أن لا تاريخ عطاء وفكر نير يملكون ، آثرنا أن نقف عند عطاء كل واحد من ألأمة الأطهار ، متعمدين ومتحديين ممن اعتمد نظرية البطل في التاريخ[2] ، أن الكشف عن عطاء هؤلاء (عليهم السلام) ، سيجعلهم يراجعون ما ساقوه من الرؤى حول من عدوهم أبطالا في التاريخ ، ويعيدوا الترتيب والتأسيس لتنظير جديد يتبنى أحقية اكتساب الأئمة الأطهار لقب " البطل في التاريخ " ، ومع أن هذا اللقب ـ البطل في التاريخ ـ هو وضعي ، بيد أن أهميته تندرج في الجانب الاعتباري ، لشخوص فاقوا في أهميتهم ، الأقران والمعاصرين لهم .

2توماس كارلايل وسدني هوك وغيره من المؤرخين والمفكرين الغربيين .

وبغية توضيح هذا الأمر وما أهميته في كتابة التاريخ ، لا بد من ألقاء الضوء على تلك النظرية ومآلها ، والوقوف على مسارها البنيوي ، ليستوي المعنى الذي نذهب إليه في دراستنا تلك حين نقف عند عطاء أحد هؤلاء الأفاضل (عليهم السلام) بطلا في التاريخ ، مع من اكتسب هذه الخاصية ، من أصحاب النظريات والدراسات بهذا الخصوص .

وما من شك أن الكتابة عن الشهداء والقديسين والأنبياء والصالحين ، أمر ليس بالسهل الميسر ، ولا هو بالمشاع دون إلزام من يكتب بنهج يحتكم فيه الى ثوابت سيرهم ومنجزاتهم وتأثيراتهم . والحق يقال أن من يقف عند سير أولئك الرجال المتميزون ، ولا سيما منهم أئمة أهل البيت وبالذات ألاثني عشر أماما سيضع أمام ناظريه التزامات أخلاقية وعلمية ، شاء أن يصيب في سَوقِها نحو الكتب والدراسات ، فيكون بذلك منصفا غير باخس لحق أولئك الثلة من الصالحين ، أما اذا كان قد أوقدوا نارا بكتابتهم عن سير هؤلاء ، وهو السهل المستساغ لديهم ، فقد باؤا بغضب شديد ليس من الخالق ، بقدر من الأجيال التي تستقي من رموز التاريخ العبرة والعظة . ولما كنا نحن قد اتخذنا القرار في التصدي للكتابة عن واحد من أولئك الأئمة المتميزون من أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد توجب علينا ، بل تحتم بشكل لا يقبل الشك أو التأويل او التلاعب بالألفاظ والفقرات ، أن نتعاط مع تلك الشخصية بما وهبها الله وأنعم عليها من نعم العلم والحفظ والعطاء بمختلف منابعه ومضآنه . تلك الشخصية الخامسة في سلسلة الأئمة الأطهار ، هو الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، صاحب مدرسة الإمامة التي مثلت بوجودها وعطائها الثر ، امتدادا لمدرسة النبوة الصالحة ، ووثبة للفكر العربي الإسلامي ، حين حل ربيع هذا الفكر في عهد هذا الإمام ، حتى شاع علمه وتجاوز الحدود ليصل الى الشرق وقبله الى الغرب . والذي يتابع ما قدمه هذا الإمام من عطاء في مجمل جوانب العلوم الطبيعية والإنسانية ، سيدهش مما كان عليه فكر هذا الرجل ، بحيث لا يمكن تصديق ما أنجز من مختلف العلوم والأدب ، ما لم يكن هناك تسديد الهي وتوفيق سماوي بأن يحتل هذه المنزلة من منازل العلماء الأتقياء . ومن ذلك آثرنا ونحن نتصفح كتاب البطولة والإبطال لتوماس كارلايل ، أن ندلوا بدلونا في تصويب ما ذهب إليه هذا المفكر

المبدع في مجال تخصصه ، حين وصف رجال لهم منجزات وعطاء مشهود ، بالإبطال في التاريخ معولا على ما قدمه هؤلاء المنتقين من أعمال ومنجزات شكلت بوجودها منعطفا في مجرى التاريخ الإنساني . وقد دفعني الفضول العلمي أن أتتبع تلك المنجزات واطلع على كنهها ، ومعرفة هذا الأثر الذي شكل انعطافة في مجرى التاريخ كما يذهب توماس كارلايل[3] في تسميته او في انتقائه لإبطاله . وحين أتممت مطالعتي ، كنت قد انبهرت حقا مما أنجز هؤلاء من منجزات كبرى ، لا سيما الشخص الذي أحتل المرتبة الأولى وهو الصدّيق محمد (ص) بما أنجز من مهمة ربانية ، شاء القدر أن ينهض بذلك المجتمع الجاهلي البدوي ، ليصبح باعتناقه الإسلام ، من أعظم الأمم وأقواها وأكثرها عطاء في مجمل جوانب العلم والفكر وغير ذلك من جوانب المعرفة . فأطريت كثيرا على صاحب هذه الفكرة ، ووجدت ان هذا الرجل ـ توماس كارلايل ـ يعد بحق صاحب فكر ثاقب ورؤية تنسجم مع سمو عطاء البشر ورقيه . وأيقنت أنه أصاب في جعل الرسول الأعظم يحتل المرتبة الأولى في سلسلة عظماء التاريخ على وفق ما أنجزوا وما قدموا ولم أكتفِ بهذا القدر من الاطلاع على باكورة هذا الكتاب ، ورحت استرسل في مطالعة الأشخاص الآخرين ممن جعل منهم أبطالا في التاريخ ، ولكن هذه المرة كان انتقائه لهم فرادا وحسب طبيعة العطاء الذي قدموه ، بما كان قد مثله من منجز علمي يرقى بأن يضع صاحبه بمصاف الأبطال في هذه المعيارية العلمية . وبالفعل اطلعت ، فوجدت من بين هؤلاء المبدع في علم اللغة والأدب وعالم الموسيقى والقائد العسكري والروائي المتحذلق والتشكيلي المتحرر . ومع كل هذا العطاء وما كان له من مخرجات ، بعضها أغدقت على صاحبه ما لا يتوقعه أو يرجاه . وبعد ان أمضيت أيام عدة مع تلك المنجزات ، لاحت لي فكرة أن أتفحص أو أن أتبين عطاء أحد أهم أعاظم الرموز الشيعية المغيبة شاءت الأقدار ان يؤسس لمدرسة علمية كانت أساسا بما أمتلكه من قدرات أن ترسم مسارا تصاعديا لبناء الفقه الإسلامي وحفظه حين برزت أكثر من مدرسة مثلت كل واحدة منها مذهبا من

3- كاتب ومؤرخ اسكتلندي ساخر ، فقد إيمانه بالمسيحية أثناء دراسته بجامعة إدنبرة، ومع ذلك بقيت القيم الكالفينية تلازمه طوال حياته .

مذاهب الدين الإسلامي الخمسة . وهي محصلة لانعكاس علم الإمام جعفر الصادق (ع) ، وإعجازه على تلك المدارس من عطاء لا يمكن للمرء أن ينكر مخرجاته الكبيرة ، ولكن ومن خلال معرفتي بحق ما لدى الإمام من عطاء فذ ، فقد تيقنت ان " توماس كارلايل " إما أن يكون قاصرا في ثقافته المعرفية بحيث اغفل دور الأئمة الأطهار وإعطائهم التقييم المستحق ، وبالتالي فهو كان سببا لبخس حق هؤلاء الأفذاذ بأن يطلوا على العالم الذي افتقر لأدوارهم القيادية في مجال العلم والتنظير والسياسة من باب موارب ، حين لم يمرق او يشر لا من بعيد ولا من قريب إلى أيٍ من تلك المنجزات التي لو أسقطنا أثرها على مخرجات وآثار أعمال الستة من أبطال توماس كارلايل ، لوجدنا الفارق والبون الشاسع بين هذا وذاك ، وبالتالي سنكون أمام خطيئة علمية اقترفها العلماء انصياعا لرغبات أو تكتلا ضد تكتلات أو لغاية في نفس يعقوب والله اعلم.

وبعد هذه الجولة البسيطة في عطاء المجموعتين ، الأولى مجموعة الأبطال السبعة ما عدا الرسول الأعظم (ص) وعطاء الإمام الخامس جعفر الصادق (ع) ، وجدت من الإنصاف بل ومن المفيد ان نبادر الى توصيف جديد لتلك المجموعة لتوماس كارلايل بحيث تكون الثمانية بدلا من السبعة الأبطال وأن يحتل الإمام الصادق المرتبة الثانية بعد الرسول ، ولا نريد أن نبخس الناس أشيائهم بقدر ما نريد ان ننبه لما هو مفيد واستنادا لما عليه هذا الفحل العلمي المسدد من الله تعالى من عطاء كان أساسا في الكثير من العلوم ممن انتشرت في الغرب او الشرق ، وقد أنتجت بدورها علماء ناهزوا درجة الأبطال العلماء بمختلف تلك العلوم . وأنا على يقين ان ما ذهبت إليه من هذا التوصيف او الكتابة على الورق ، وما ثبته في بطون التاريخ من منجز الإمام الصادق (ع) لم يأت بفعل انتماء لمذهب او لحزب او لخط او تيار ، بقدر ما كان نداء طفقت استمع إليه في داخل روحي ، مقررا أن اشق طريقي بإبراز منجز هذا الإمام الفطحل في عصره وما تلاه من العصور ، ليأخذ بالتالي حقه الطبيعي بين مكانة العلماء وأبطال العلم والكلمة الحق . وعليه توجب علي وأنا أخوض غمار المقاربة بين هذا الفيض من العطاء ، والفيض الذي دفع بتوماس كارلايل أن

ينتقي من الرجال تلك المجموعة ويصفهم بأبطال في التاريخ ، توجب ان أقف عند منجز بعض تلك المجموعة ، وبالمقابل منجز الإمام الصادق وكأني أضعهما في ميزان لأزنهما ، ويبقى الحكم للقارئ الفصيح والنابه الهمام بأن ينصف من يتوجب على الحاكم المنصف إنصافه ، والله فوق الجميع .

أولا : نظرية البطل في التاريخ لتوماس كارلايل :

تعد هذه النظرية واحدة من النظريات العلمية الهامة والضرورية جدا في كتابة التاريخ والمثيرة للجدل بما يتعلق بالمعني بهذا الامتياز والتوصيف بهذا الوصف . يقول توماس كارليل في كتابه (البطل وعبادة الأبطال)[4] ان التاريخ العام ,هو ما أنجزه الإنسان في هذا العالم ,وهو في أعماقه, تاريخ الرجال العظام الذين عاشوا وعملوا في هذا

4 هذا الكتاب عبارة عن تدوين مرحلة هامة من تاريخ البطولة ، اعتمادا على صياغة مادة هذا الكتاب على وفق أسلوب أدبي تحليلي وتاريخ من تاريخ البطولة . ومن الواضح ان الشخوص الذي وجد كارلايل صلاحهم وتلاءم ما تم الاتفاق عليه بشأن اكتسابهم تسمية البطل في التاريخ ، كانوا بلا شك يرقون الى مستوى تلك التسمية ولربما أرقى بكثير . وهذا الرقي يمكن لأي شخص متابع لحركة التاريخ ، يدرك تمام الإدراك : ان كارلايل كان قد فلتر التاريخ وفلسّه ، ليخرج بحصيلة تقول أن مصطلح " البطل في التاريخ " لا يمكن انتزاعه نزعا من هيكل معناه لنصيره الى معنى أخر او تفسير أخر فالبطل في عرفه هو استحقاق شخوص لهم مؤهلاتهم البدنية والعقلية ، مما سهل عليهم القيام بانجازات كبرى شكلت انعطافة في مجرى التاريخ البشري . وقد أورد سبعة رجال عظام في التاريخ البشري ، لم يخص منهم سوى شخص الرسول الأعظم من العرب المسلمين ، وقد أختص كل واحد منهم بجانب من جوانب الحياة البشرية . ومنهم : الرسول الأعظم محمد (ص) وشكسبير ، ومارتن لوثر ، ودانتي ، ونابليون بونابرت فضلا عن كروموويل ونيوتن .

العالم ، في حين يرى(فردريك ادامز وود)[5] ان الأوضاع التاريخية لا علاقة لها بتقديم ملوك أقوياء أو ضعفاء . ويرفض القول : أن الملوك والأحوال معا , هم نتيجة مجموعة ثالثة من العوامل . بينما يتفق مع ما قيل كان لهؤلاء الملوك , نفوذ حاسم وقاطع في تقرير الوضع التاريخي . ثم نجده يؤكد على العامل الوراثي في إيجاد البطل التاريخي , دون العوامل الأخرى ، إذ يرى أن السجايا العقلية تتوارث بنفس الطريقة والدرجة التي تتوارث بها الصفات البدنية ، مؤكدا على تفوق الأفراد المنتمين الى العائلات الملكية من العام الألف الميلادي على الأفراد العاديين الأوربيين في المقدرة . وترى هذه النظرية ان يكون البطل هو فقط من اتصف , بصفات القيادة العسكرية او السياسية المحنكة التي من شأنه ان يحدث انعطافة في تاريخ بلاده . وهذا الأمر يمتد ليشمل العظيم في مجال الفكر والأدب والفنون وغيرها , ممن أنجزوا أعمالا عدت انجازات كبرى في تاريخ البشرية , كما هو الحال فيما جاء به الرسول محمد (ص) او نيوتن[6] او شكسبير[7] او موزارت[8] او نابليون وغيرهم . في حين يرى (فردريك انجلز)[9] أن

---

[5] ـ عالم الأحياء الأميركي وزميل الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم ، عضو المجلس القومي للأبحاث ، 1922.

[6] -(Isaac Newton) (ديسمبر 20 - 1642 مارس 1727) عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية في أوروبا .

7- شكسبير (William Shakespeare) :يعد شكسبير من شعراء وأدباء العالم المتميزين بعطائهم المسرحي ، فضلا عن انه من ممثلين الأدب الانجليزي البارعين ، فاقت أعماله المسرحية الثمانية والثلاثين عملا مسرحيا الى جانب 156سونيتهسونيته أو ما يعرف بالشعر الغنائي . فضلا عن اثنتين من القصص الشعرية وبعض القصائد الشعرية وقد تم ترجمت مسرحياته وأعماله إلى كل اللغات الحية .

8 فولفغانغ أماديوس موتسارت (27 يناير1791) 5- 1756 ولد بالنمسا، وهو مؤلف موسيقي نمساوي يعد من أشهر العباقرة المبدعين في تاريخ الموسيقى رغم أن حياته كانت قصيرة، فقد مات عن عمر يناهز الـ 35 عاماً بعد أن نجح في إنتاج 626 عمل موسيقي .متاح على الموقع : https://ar.wikipedia.org/wiki/

9 FriedrichEngel ولد في 28 نوفمبر 1820 في بارمن، بروسيا، حاليًا فوبرتال، ألمانيا وتوفي في 5 أغسطس 1895. كان فيلسوف ورجل صناعة ألماني ُلقّب أبو النظرية الماركسية إلى جانب كارل ماركس ، للمزيد ينظر : الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، النسخة العربية، الطبعة الأولى، دار الطليعة-بيروت، أكتوبر 1974، ص 52.

الرجل العظيم هو استجابة ضرورية لحالة اجتماعية وان تلك الحالة شرط كاف لظهور الرجل العظيم[10] .
اما (جورج ليتشانوف) صاحب أحسن عقل فلسفي مفكر بين الماركسيين , فانه يتفق وما ذهب إليه(سانت بوف)[11] الذي كان يعتقد , أنه إقرار إرادي مفاجئ تتخذه شخصية مميزة في أي وقت معين قد يقرر مجرى التاريخ . ويرى ان الأبطال هم من صنع أزمنتهم ، وليست الحاجة الاجتماعية , هي التي تستدعي وجود أبطال . وهؤلاء أبطال وحتى الضعفاء يستطيعون ان يعيدوا تقرير مجرى التاريخ . ويؤكد ان الزمان والمكان يعيشان حالة جميع الأخوان , وملأ الثغرات التي يحدثها أولئك الإفراد , إنما هي عوامل تعتمد على الأحوال الاقتصادية في يومها وعلى تجاذب المصالح الطبقية التي تنمو من تلك الأحوال . في حين يرى (هوك)[12] ان الرجل الذي تحفل حياته بالأحداث التاريخية , هو الرجل الذي أثرت أفعاله , على التطورات التالية لفعله بشكل مغاير تماما للشكل الذي كانت خليقة بأن تأخذه , لو لم تصدر تلك الأفعال عنه . أما الرجل الصانع للأحداث , فهو رجل أحداثه , أفعاله , بمثابة نتائج طاقات وملكات ذكاء حاد وإرادة قوية وشخصية بارزة , أكثر مما هي نتائج حوادث عارضة ناجمة عن مركزه وهو تأكيد على ان البطل , هو عظيم ليس في أفعاله فحسب أنما بفضل سجاياه وماهيته[13] .

أولاً : الرسول الأعظم (ص):

وقد أصاب وأفلح توماس كارلايل ومن أعانه على اختيار الرسول الأعظم الشخصية الأولى في هذا التقييم ، وهو أمر رباني لا جدال فيه . كما في قوله جل من قال : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[14] . وعليه فليس لدينا أي نقاش أو اعتراض على هذا الاختيار .

10انظر كتابنا : منهج بحث وفلسفة التاريخ ، الطبعة الثانية ، النجف ، 2008، ص68.
11شارل أوغستان سانت - بوف (Charles Augustin Sainte-Beuve :) كاتب وناقد فرنسي .
12 سيدني هوك : فيلسوف وعالم اميركي (1902- 1989) من أنصار المدرسة البراغماتية ، له إسهامات في فلسفة التاريخ وفلسفة التعليم .
13المصدر نفسه : ص806
14 الأنبياء /107

ثانيا :- شكسبير (Shakespeare):-

لا شك أن الأذن البشرية تطَربْ لبلاغة الكلام ، وحسن الأسلوب ،وقول الشعر ، وكلمات النثر ، ورومانسية الشعور ، ومن ثم إنها ستطربُ أكثر إذا ما وفدت لفنائها نغمات أو كلمات أو اسطر تحاكي واقع كان بالأمس عزيز وبات اليوم طريد . وعلى كل حال ، فأن شهرة اي شخص تعتمد على صاحبها وعلى ما يحمله من رؤى وتوجهات مميزة . وما دمنا بصدد الحديث عن شكسبير ، فالواقع يقول استحالة مقارنة الشهرة التي اكتسبها أي كاتب آخر بشهرة شكسبير عالمياً على كافة المستويات، فقد دخل إلى جميع الثقافات والمجتمعات الأدبية والفنية والمسرحية في كل بلدان العالم ، معتمدا في مسرحه وشعره على العواطف والأحاسيس الإنسانية، مما عزز من عالميته وعلو كعبه . وهنا فأن شكسبير ، يكون قد نال هذا التقييم بسن مبكرة ، بل وتحسس ردة الفعل التي خرجت من دون وعي . وإذا ما أوغلنا النظر بعمق في بنيوية أعماله المسرحية ، سنجد أن أبطال مسرحياته المأساوية شخصيات تتميز بالنبل والعظمة والعواطف الإنسانية، وتؤثر في الجمهور والقراء أينما كانوا ولا تزال الشخصيات الكوميدية تضحك الجمهور لما في تصويرها من ذكاء ودقة وفكاهة. وتترك شخصياته النسائية، مثل كليوباترا وجولييت والليدي ماكبث وروزالند وبورشيا وبياتريس وميراندا، أكبر الأثر عند القراء وجمهور المسرح والسينما أينما كانوا. وتكمن براعة شكسبير في القصص المثيرة التي أستخدمها في مسرحياته. ولربما أشد ما يلفت النظر إلى شخوص أعماله المسرحية ، أنها مزيج غير متجانس ، تجد فيها الخير والشر والعاطفة والعقل واللغة الشعرية ، بل تجده يضع المتتبع والمشاهد لأعماله ، وكأنه يعيش في زحمة مجتمع تلاطمه أمواج من البشر متعدد المشارب والملل ، وتراه يتلاعب بالكلمات ويخاتل الألفاظ ويستحضر مفردات تكاد ان تكون غير معروفة . وبذلك فهو عصي الفهم ببلاغته وصعب الإدراك بتوجهاته ، لكنه منتج ، بل أعاد أنتاج مرحلة بكاملها من الفكر والأدب ، كانت نافذة حية أطلت على عصر النهضة الأوربية ، لتغدو عنوانا يسهم بالمباشر في فتح قنوات الانعتاق من العبودية والتحول الى مرحلة أرقى . ولعل أروع ما ساقه شكسبير في أعماله

الفنيـة تلـك ، هـو صـياغته لحقيقـة الصـراع الـذي يخوضـه الفـرد بـين نوازعه وغرائـزه وطموحاتـه ، وبـين ظـروف الواقـع المحيط والحتميـة التاريخية. وهذا ما يرسخه أن أبنـاء ورجـال مسرحيات شكسبير ، جلها تمـت بصـلة واقعيـة بتجليـات واقـع الدولـة السياسـي والاقتصـادي والاجتمـاعي ، ممـا يؤكـد لنـا أن شكسبير هـو ابـن البيئـة التـي ترعـرع وتلمس معانـاة الفرد فـي واقعه وتوقـه إلـى الانعتـاق مـن أي قيـد يعرقـل تفتحه وطموحه. ومن ذلك نـرى تجلـى نضـج شكسبير الفكـري والفنـي فـي صياغة الصـراع فـي مسـرحيات شكسـبير لا مـن خـلال شخصـيات معلقـة فـي الهـواء، بـل هـي دائمـاً ابنـة واقعهـا بتجلياتـه الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية. وهنا لا بد من ان نتوقف عند إرهاصات منجز هـذا الأديـب لنجـدها وقـد تمحـورت حـول قطـب واحـد ، وهـو العمـل المسرحي الـذي لـم يضـاهيه احـد ، بيـد انـه لـم يكـن كـذلك فـي مجـالات أخرى ، فهو متخصص في صناعة الأدب وفـن المسرح مجسدا معانـاة وحياة ما عاشه في واقعه في تلك الأعمال .

وإذا ما وقفنا عند إبداع شكسبير ممـا دفـع بـالمعنيين بزجـه فـي نظريـة البطل في التاريخ ، وأن يجعلوا منه بطلا في التـاريخ مـن خـلال أعمالـه تلك ،فهو أمر ينبأ بشـيء حسن وهو الارتقـاء بـالفكر والمفكرين حين تكون أعمـالهم شاخصـةً تفتح لهم قنوات الارتقـاء كمـا هـو الحـال فـي تقديم عصـارة أفكـاره ، ليخـرج علينـا بإطلالـة بهيـة وهـو يحمـل بشـرى حصـول تطـور فـي التفكيـر البشـري إذ شكل ظـاهرة كـان مـن شـأنها أن أخذت بيد الإنسـان نحـو التفكيـر والإبـداع ، وهـذا سيكون منطقيـا اذا مـا فاق في عطاءه الآخرين .

ثالثا : أسحق نيوتن (Ac. Newton:)

واحـد مـن أبـرز العلمـاء الـذين أسـهموا فـي تطـوير علمـي الفيزيـاء والرياضـيات عبـر العصـور وأحـد رمـوز العلميـة. شـغل نيـوتن منصب رئيس الجمعية الملكية، كما كان عضوًا في البرلمان الإنجليزي، إضافة إلى توليه رئاسة دار سك العملة الملكية، وزمالته لكليـة الثـالوث فــي كامبريــدج وهــو ثــاني أســتاذ لوكاســي للرياضــيات فــي جامعــة كامبريدج .أسس كتابه الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية الذي نشر

لأول مرة عام1687 ، لمعظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية . كما قدم نيوتن أيضًا مساهمات هامة في مجال صياغة قوانين الحركة البصريات، وشارك غوتفريد لايبنتز في وضع أسس التفاضل والتكامل .وقانون الجذب العام التي سيطرت على رؤية العلماء للكون المادي للقرون الثلاثة التالية. كما أثبت أن حركة الأجسام على الأرض والأجسام السماوية يمكن وصفها وفق نفس مبادئ الحركة والجاذبية. وعن طريق اشتقاق قوانين كبلر من وصفه الرياضي للجاذبية، أزال نيوتن آخر الشكوك حول صلاحية نظرية مركزية الشمس كنموذج للكون. وكذا صنع أول مقراب عاكس عملي، ووضع نظرية عن الألوان مستندًا إلى ملاحظاته التي توصل إليها باستخدام تحليل موشور مشتت للضوء الأبيض إلى ألوان الطيف المرئي، كما صاغ قانونا عمليا للتبريد ودرس سرعة الصوت .بالإضافة إلى تأسيسه لحساب التفاضل والتكامل، وساهم نيوتن أيضًا في دراسة متسلسلات القوى ونظرية ذات الحدين، ووضع طريقة نيوتن لتقريب جذور الدوال[15].

كان نيوتن مسيحيًا متدينًا، لكن بصورة غير تقليدية، فقد رفض أن يأخذ بالتعاليم المقدسة للأنجليكانية، ربما لأنه رفض الإيمان بمذهب الثالوث .وأمضى أيضًا أوقات طويلة في دراسة الخيمياء وتأريخ العهد القديم، إلا أن معظم أعماله في هذين المجالين بقيت غير منشورة حتى بعد فترة طويلة من وفاته[16].

وأمام ذلك ، نقف إجلالا لهذه العقلية الفذة التي تمكن صاحبها من استغلال تميزها في هذا المجال الحيوي ، بل والذي شكل عمودا فقريا لبيان العلاقة الاندماجية لمختلف العلوم . فالتجارب التي أجريت على خلفية ما توصل إليها هذا الشخص ، تؤكد أنها مثلت انعطافة كبرى في مجرى التاريخ العالمي ولا سيما منه الصناعي وعلم الرياضيات والفيزياء والكيمياء . وعليه فأن منجزه العلمي جعله مرشحا لنيل مكانة البطل في التاريخ .

---

15 متاح على الموقع :
https://ar.wikipedia.org/wiki

16 متاح على الموقع :-
https://ar.wikipedia.org/wiki/

رابع :- نابليون بونابرت(Napoleon Bonaparte):

وبعيدا عن الفن والأدب ،سنقف عند شخصية أخرى حازت لنفسها عنوان البطل في التاريخ ، كما ذهب اليه توماس كارلايل بوصفه قائدا عسكريا واستنادا لمنجزه في هذا المجال ، ولكن ليس لمنجزه العلمي أو الأدبي كما هو الحال فيما مر بنا من الشخوص ، إنما بين أيدينا شخصية مثلت مسار التاريخ العسكري لحقبة من الزمن ، شاءت أن تمتد تلك الثقافة من عسكرة الحياة من ساعتها صعودا لسنوات طوال أسس للكثير من الظواهر العسكرية والانقلابات المدمرة . وهذا الشخص هو " نابليون بونابرت " وهو قائد عسكري وحاكم فرنسا ، عاش خلال أواخر القرن الثامن عشر وحتى أوائل عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر .حكم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بصفته قنصلاً عامًا، ثم بصفته إمبراطورًا في العقد الأول من القرن التاسع عشر، إذ كان لأعماله وتنظيماته تأثيرًا على السياسة الأوروبية ! وهنا لا بد من وقفة لمحاكمة هذه النصوص فكريا ، فالمتفق عليه وفق انتماء الأشخاص لقائمة البطل في التاريخ يقتضي أن تكون أعماله بمثابة منعطف راقي في مسار التاريخ الذي ينتمي إليه هذا الشخص المعني !ولكن اذا ما تتبعنا سيرة نابليون بونابرت منذ اللحظة التي أصبح فيها حاكما لفرنسا ، سوف لن نشهد تلك الهالة المرسومة لمنجز أنجزه هذا الرجل ! فالحرب لا تفضي سوى الى خراب وليس في طرفي المعركة منتصر بمعنى الكلمة ، فالنصر لا يأتي إلا على جماجم الجنود وأطفال أيتام وعزوبية البنات وأرملة النساء ، وبالتالي خلق حالة لا يحسد عليها البلد الذي يقال انه منتصر . وإذا كان كل عمل يقيم بمخرجاته ، فما قام به نابليون بونابرت أدى الى دمار وليس إلى انجاز وكما يلي :-

- لقد كان صعود القوة البريطانية و سقوط القوة الفرنسية في مرحلة الحروب النابولونية يعود الى قصة تنظيم الاقتصاد, و هو أمر أشار أليه نابليون بازدراء بوصفه لبريطانيا : "أمة من أصحاب المتاجر." . فكانت نهايته المحزنة دليل على فشل مشروعه السياسي والعسكري .وبالتالي أين ملامح البطولة التي وصف بها ؟ بالتأكيد هي غير متوفره !!. فعلى الرغم من الانتصارات التي حققها نابليون على

الروس و النمساويين إلا انه أهدر فرصة السلام مع روسيا بعد ان اتخذ عدة إجراءات ضد مصالح روسيا لم تجلب من المكاسب الا القليل لفرنسا. مما جعل الأمر يؤول لصالح روسيا بعد حملة نابليون عليها و معاناة الجيش الفرنسي من الخسائر الضخمة و التي عبدت الطريق لجيوش روسيا الى باريس[17].

- لم تساعد نابليون ظهوره بصفة حاكم مسلم وصديقا للإسلام والمسلمين من إيقاف الثورات إلا باستخدام العنف بوحشية . و ليتقدم نابليون بعدها إلى بلاد الشام و يحاصر عكا التي سببت له نكسة في حياته المهنية بسبب المقاومة الشرسة التي أبداها المدافعون عن القلعة والتي جعلت نابليون يدرك بأن مسيره إلى القسطنطينية ليس سهلا وان القتال في الشرق الأوسط صعب جدا بسبب المناخ وكثرة القوى المسلحة التي لا حصر لها.

- بعد عام 1807 كان نابليون الى حد كبير سيد أوربا إلا انه ورط نفسه في عدة حروب استنزفته و مكنت أعدائه من القضاء عليه فضلا عن أنه أهدر الكثير من فرص السلام , و هكذا خسرت فرنسا معظم الأراضي التي اكتسبتها خلال حروب نابليون.

- والأهم من ذلك هو عرض فرنسا المهزومة التي عرضت السلام مقابل عودتها إلى النظام الأوربي بكرامة و انتزاع كامل الأراضي التي اكتسبتها مقابل الحفاظ على الأراضي الأصلية . و هذا قد منع الاستياء و الميول الانتقامية و عدم الاستقرار في النظام الأوربي[18].

وأمام هذه المعطيات والواضحة سلبياتها وضعف مخرجاتها وهزالة مسيرتها ، هل يمكن القول بأحقية القائم عليها في نيل لقب بطل في التاريخ ؟ قطعا هذا غير وارد وغير منطقي ، لان ما تمخض عنه فعل هذا المسؤول ، بمثابة نكسة تضاف الى انتكاسات وتداعيات الثورة الفرنسية التي أدت الى أنهر من الدماء تحت مسمى الحروب النابولونية . وبالنتيجة نستغرب من هذا التوصيف لشخص لا يستحق

---

17 للمزيد ينظر : روبير سوليه : علماء بونابرت في مصر ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، دت ، القاهرة .

http://www.iqtp.org/?p=12192

18متاح للموقع :http://www.iqtp.org/?p=12192

كل هذا العناء ، إذا ما أدركنا ان في الأمر ما هو أدهى وأمر ، لا سيما إذا ما وقفنا بوضوح على مقدار الخسائر المادية والمعنوية والخراب الذي حصل في المنظومة السياسية والمدنية للقارة الأوربية من جراء تلك الحروب .

خامسا :- موزارت (Mozart):

شخصية أخرى نالت لقب البطل في التاريخ ، بيد انه مختلف في عطائه الذي بدا فيه منفردا مع انه كان بمعية عائلته الفنية والراقصة . ففي سنوات طفولته قامت عائلته بعدة رحلات إلى بلدان أوروبية حيث بدا موتسارت أو موزارت وأخته كما لو أنهم عباقرة صغار. بدأت الرحلة بعرض في ميونيخ سنة 1762 كذلك في براغ وفيينا برفقة أبيهم الموسيقي ليوبولد موتسارت (1787-1719). قابل موتسارت في هذه الرحلة العديد من الموسيقيين لكن أكثرهم تأثيراً كان يوهان كريستيان باخ في لندن سنة 1765 أثناء هذه الرحلة، وتحديداً في إيطاليا، كتب موتسارت أول موسيقاه. وكان قد تمكن من إكمال (41) سيمفونية . وبرع في كافة أنواع التأليف الموسيقي إلى جانب تأليفه مسرحيتين أوبراليتين عام 1770-1773، ومع مرور الزمن تزايد عدد المسرحيات الاوبرالية التي ألفها . وقد أحيا في حياته خمسة عشر حفلة ، إذ عزف على البيانو بدء بزواج فجارو وانتهاء بالفلوت السحري عام 1791. وبالتالي كان موزارت أول مؤلف موسيقي يضع فهرساً لأعماله التي نشرت للمرة الأولى عام 1862[19] .

سادسا : مارتن لوثر(Martin Luther) :

لا يمكن لأي فضاء فكري او سياسي أو ديني أن يتغير ما لم يكن هناك فرد مبدع يتمكن من تطويع أتباع له ، ويؤسس لفكرة ترتضي بها جماعات ، ليتمكن من خلال تلك القاعدة أن يمضي قدما في تحقيق ما كان يبتغيه من التغيير . وهذا السيناريو من التحولات الفكرية ، يمكن إسقاطه على ما عمد إليه مارت لوثر من تحقيق مسعاه في

---

19 محمد كامل حسن المحامي : عباقرة خالدون ، موزارت من أشهر عباقرة الموسيقى ، بيروت ، 1976. .

أصلاح الكنيسة بعد أن كثر فيها الفساد ، كما في تنويهه المستمر لذلك . ففي
(10نــوفمبر 1483 - 18 فبرايــر 1546) بــرز إلــى الوجــود راهب ألماني ، أسهم من خلال ما حمله في جعبة أفكاره من إصلاحات تتعلق بالمؤسسة الدينية . وراح يسعى وبخطوات مؤثرة من أطلاق حملة إصلاح تمخض عنها ارتقاء حضاري واضح في الكنيسة ، لا سيما بعد أن برزت إلى الوجود كتلتين ، حاكمة وأخرى معارضة تعمل من اجل أصلاح الوضع والاندماج في المجتمع من خلال ما يتفق عليه المشرعون وعلى وفق الدستور الفرنسي . فكان أهم ما ميزه أفكاره هو لبوسه الإصلاحي . ولا سيما كان هناك عنصر جذب للإصلاح وشيوعه نحو أوربا ،فسجل اعتراضه على صكوك الغفران ، ونشر في عام 1517 رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من "العقاب الزمني للخطيئة"؛ وواضح أن رفضه التراجع عن نقاطه الخمس والتسعين بناءً على طلب البابا ليون العاشر عام 1520 ، الى جانب تفعيل طلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة ممثله بالإمبراطور شارل الخامس القيام بنفي مارتن لوثر وإدانةٍ متشددةٍ ضد الحرم الكنسي مع إدانته وكتاباته بوصفها مهرطقة كنسيًا وخارجةً عن القوانين المرعيّة في الإمبراطوريّة . أما أبرز مقومات فكر لوثر اللاهوتي هي أنّ الحصول على الخلاص أو غفران الخطايا هو هديّة مجانيّة ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصًا، وبالتالي ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو إصلاحي ؛ وثانيًا رفض «السلطة التعليمية» في الكنيسة الكاثوليكية والتي تنيط بالبابا القول الفصل فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدس معتبرًا أنّ لكل امرئ الحق في التفسير؛ وثالثًا أنّ الكتاب هو المصدر الوحيد للمعرفة المختصة بأمور الإيمان؛ وعارض رابعًا سلطة الكهنوت الخاص باعتبار أن جميع المسيحيين يتمتعون بدرجة الكهنوت المقدسة، وخامسًا سمح للقسس بالزواج . ورغم أن جميع البروتستانت أو الإنجيليين في العالم يمكن ردهم إلى أفكار لوثر، إلا أن المتحلقين حول تراثه ، يطلق عليهم اسم الكنيسة اللوثرية . لقد قدّم لوثر أيضًا ترجمة خاصة به للكتاب المقدس

بلغته المحليّة بدلاً من اللغة اللاتينيّة التي كانت اللغة الوحيدة التي سمحت الكنيسة الرومانية باستخدامها لقراءة الكتاب المقدس، مما أثر بشكل كبير على الكنيسة وعلى الثقافة الألمانيّة عمومًا، إذ عزز الإصدار من قياس مفردات اللغة الألمانيّة وطورت بذلك أيضًا مبادئ الترجمة، وأثرت ترجمته لاحقًا على ترجمة الملك جيمس باللغة الإنكليزية للكتاب المقدس؛ كما ألّف عددًا كبيرًا من التراتيل الدينيّة التي أثرت في تطور فن الترنيم في الكنائس .في السنوات الأخيرة من حياته، تزامنًا مع مرضه وتدهور حالته الصحيّة، فكتب لوثر ضد اليهود وطالب بالتضييق على حرياتهم وحرق كنائسهم ومنازلهم، ما دفع إلى رشقه بمعاداة الساميّة[20].

الإمام الصادق (ع) وما يشغله من حيز من نظرية البطل في التاريخ :-

إن الإمام الصادق(ع)، هو أحد أعلام هذه المدرسة الربانية، الذي أتاح له عصره أن ينشر فيها من العلوم ما شاء الله له أن ينشر شرقاً وغرباً، ثم يضيع منها ما يضع ويبقي منها ما يدهش علماء الغرب والشرق، ويثير هممهم لإعداد دراسات موسعة عما وصلهم من علوم الإمام الصادق(ع).وبين يدي كتاب ضم مجموعة من الأبحاث العلمية التي أعدها مركز الدراسات العليا المتخصصة في تاريخ الأديان بجامعة ستراسبورغ الفرنسية بمشاركة خمسة وعشرين من علماء الاستشراق وأساتذة الجامعات الأوروبية والأمريكية، الذين ألقوا ما بجعبتهم من أبحاث في ندوة نظمتها الجامعة المذكورة لدراسة الشيعة الإمامية وتاريخها العلمي والحضاري وعلوم الإمام الصادق(ع)، ونشرت بالفرنسية ثم ترجمت إلى الفارسية، وعرّبها من الفارسية الدكتور نور الدين آل علي في كتاب ضخم سماه (الإمام الصادق(ع) كما عرفه علماء الغرب).

من مزايا الإمام الصادق (ع) :-

ـ الإمام الصادق وكتابة التاريخ :-

20 يواقيم رزق مرقص ، تاريخ الكنيسة الغربية ، دت ، ص111 .

لا يخفى على احد "أن حب السلطة داء ليس له دواء " وهذا ما قاله أمير البلغاء الإمام علي (ع) . ومن هذا المنطلق فأن القادة والملوك والسلاطين والزعماء ، كلهم في هذا الداء مشتركون ، فلم يترك هذا الداء منهم أحدا إلا سعى وتملك فؤاده ودغدغ أفكاره ولعب بحواسه وقلب للآخر ظهر المجون، وكان يشد بأسنانه على كرسي الحكم حتى يتبسمر من شدة الالتصاق به . وعلى هذا الأساس من جنون السلطة ، كان لا بد من إعلام مساند يشيد بالملك أو السلطان ويستنكر الأخذ بما يقوله أعداء السلطان ، وكل ما يفعله هذا السلطان يعد أمر لا شائبة فيه ولا يحمل غلٍّ أو تقزيم للآخر أو أنه على شرف السلطان بخيل أو منّاع ، فهذا الّذي سوف يسيطر بمدواته ما كان عليه السلطان وما كان من الأمر من عنوان فليختر لنفسه عنوان ولا أسمى ، ولا أدق ، وأشهى من كناية يتلذذ بها وهي سراب وعلى هذا الأساس ، ولد تأريخ مشوه لا يجانب الحقيقة او يقولها ، بل يلغيها ويقولبها حيث يشتهي السلطان وما يقول . وهذا ما أدركه الإمام (ع) حين أطلع على التاريخ الذي شوهته أقلام مأجورة وألسن مسعورة ، فنادى بضرورة تعريض النص التاريخي للنقد وتمحيص الخبر .

ومنذ أن برز الى الساحة السياسية العربية والإسلامية ذلك الموج الهادر من جيوش لا تعرف سوى الحكم للإسلام السياسي بديلا عن الإسلام المحمدي ، برزت الحاجة الى التوقف قليلا عند هذا المصطلح الذي يحمل غرضا واضحا يصب في مساعي الدوائر الصهيونية لتشويه الدين الإسلامي . ومما لا شك فيه ان هذا المسار من التشويه سيلقى تعارضا شديدا لا سيما في الهند والباكستان وأفغانستان فضلا عن إيران والجالية الإسلامية في شتى بقاع العالم الى جانب الدول الشقيقة والصديقة . ولان الموج الهادر ومنذ صدر الإسلام كان يميل الى الجانب الآخر من المعادلة السياسية ، فقد خط القلم لنفسه مسارا خالف روايات وأسانيد أمهات الكتب إزاء قضايا مصيرية لا قِبلَ للشعوب العربية والإسلامية من حملها وهي خاوية على عروشها . وأمام هذا التهاوي والتهاون في رصد كتابة التاريخ والوقوف عند محطاته وتمييزها ، أنتج وعاظ السلاطين كتب التاريخ ، وهكذا نأى من دَوَّنَ التاريخ بنفسه في ركن هادئ لا يرى الحقيقة إلا من خلال

قلمه . وجاءت الكتب وهي تحمل أسفارا ، فيها من الغلط واللغط الشئ الكثير ، وفيها من التقديم والتأخير والشطب والحك والترشيق والتضخيم والقفز على الحقائق والزمن ، حتى بات التاريخ في عيوننا ، ليس ما صنعه رجالنا ، بل ما أراده رجالهم ان يكون تاريخا لنا . فجاء في كثير من مفاصله خلاف للواقع المحكي ، وعلى نقيض مما قد قيل ونودي ، صحيح ان هناك حقائق لا تقبل التأويل ، ولكن النحالون لهذه الروايات بالمرصاد ، فطافوا بالبلاد وتوقفوا عند العباد وراحوا يبحثون عن من كتب من بينهم روايات التاريخ والزمان ، حتى جمعوا ما جمعوا وهيئوا لمغادرة حقائق في التاريخ عنوة من دون وازع أو سلطان ، فاكتملت كتبا وولدت مجلدات ، فيها من الصحة والثلمات الكثير فاختلط الحابل بالنابل ، وكأن الحقيقة التاريخية باتت في طور النسيان ، وتقدم المتأخر وتأخر المتقدم ، وأسدل الستار على الصحيح ورفع الستار عن المفضوح ، فتلاشت حقائق واندثرت ، وهذا ما أثار في النفس ثورة ، وألبَّ من الأقلام حفنة ، وبرز إلى الوجود من أراد تصويب مسارات الريشة وعطاء المدواة ووجهة القلم . وكان من بين أولئك المنتفضين من أصحاب القلم رجلا جمع بين الإمامة وأمانة القلم ، ومن بين عصور الإسلام عصر أمير المؤمنين (ع) إذ كان عصر فتن وحروب ، وعصر صراع دائب بين قوى الحق وقوى الشيطان، فقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . ومع هذه الحملة من التنقية ، برز جماعة من المدونين ، كتبوا على حذر شديد كما هو الحال فيما كتبه سليم بن قيس الهلالي ، ومع ذلك ازداد في عهد الأمويين ،الوضع والانتحال ، وغدا الكذب على الرسول تضج به المساجد والدواوين ولا سيما في عهد معاوية بن ابي سفيان حتى ضجت المرويات بصخب الدجالين من الكتبة والمنتحلين[21] . واستمر هذا الحال حتى حين ، عندما انبرى الصادق جعفر الإمام الأمين (ع) الذي أدرك خطورة ما يجري من التدوين ، فسارع الى الأمر بالتدوين ولا سيما منها المعارف الإلهية فاستجاب له المطيعون فكانوا من أوائل من

21 نقلا عن : الصغير ، محمد حسين : الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت ، النجف الاشرف ، مؤسسة البلاغ ، 2012، ص369 وما بعدها .

اهتم بالتدوين ، وهذا يمكن تلمسه من خلال توصيات عده أوصى بها تقضي بـ :-
1- ضرورة الكتابة لأنها تفضي الى الحفظ .
2- يوصي بحتمية بث العلم من خلال الكتابة ، فأن مات المرء أورثها لبنيه ، لتكون في قادم الأيام دواء لزمان يتفشى فيه الداء .
3- أنه (ع) يؤمن أن القلب يتّكل على الكتابة .
4- يأمر بضرورة الاحتفاظ بالكتب لأن المرء سيبقى دوما بحاجة إليها .
وفي هذا السياق روي عنه قوله :((ما يمنعكم من الكتابة ؟ إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا ، إنه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء ، فكتبوها))[22] . والى ذلك ، كان يأمر طلابه بالكتابة ويؤكد لهم ضرورة التدوين والكتابة ((احتفظوا بكتبكم فأنكم سوف تحتاجون إليها.))[23]
ولطالما كان يشيد بنشاط زرارة الحديثي إذ كان يقول ((رحم الله زرارة بن أعين ، لولاه لاندرست أحاديث أبي))[24] . والى جانب ذلك ، كان يأمر طلابه بالتدارس والمباحثة ، كما في قوله للمفضل بن عمر : ((أكتب وبث علمك في أخوانك ، فأن مت فأورث كتبك بنيك ، فأنه يأت على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم))[25]
وكان من الطبيعي وأمام هذا النشاط المحموم والتعاطِ مع تعليمات الإمام في الاهتمام والعناية بالتدوين ، وبخاصة تدوين الحديث الشريف ، تألفت واجتمعت الأصول الأربعمائة المعروفة[26] . والتي شكلت المجاميع الحديثية الأولى عند الشيعة الإمامية[27]
والى ذلك ، فالإمام الصادق يعد أول من نظر في الروايات والتاريخ بعين النقد والتمحيص ، فكان بذلك قدوة وإماما ومرشدا لإمام

---

22 المصدر نفسه : ص371
23 منذر الحكيم : أعلام الهداية : ج2 ، ترجمة بيشوان هدايت ، ايران ، المجمع العلمي لأهل البيت ، 1381هـ ، ص128.
24 المصدر نفسه ، ص128 .
25الكليني : أصول الكافي ، الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان ، 2005 .
26 وسائل الشيعة : 18/ 57- 59 .
27 أعلام الهداية : المصدر السابق ، ص129

المؤرخين محمد بن جرير الطبري الذي آل على نفسه أن لا يسّجل الا الرواية الثابتـه ، ومـا يتقبلـه العقل ، وأن يهمل الأساطير والأسمار[28] وما إليها . وقد أكد على اعتماد العقل في التصدي للقضايا التاريخية ومعرفة حظها من الصحة أو الزيف . ولعل من باب السبق العلمي للإمام الصادق ، أنـه يعد أول ناقد للتاريخ ، كما نوه بذلك أبن أبي الحديد ، بل ويؤكد أن أول من وضع هذا الاسم لهذا العلم عند العرب المسلمين هو الإمام الصادق (ع) . وكان من منهجيته في كتابة التاريخ هو تخليصه من التزييف والأباطيل وما علق به من الخرافات والأساطير ، لأن من شأن إقحام التاريخ بهذه الترهات والخزعبلات أن يفقده صفة العبرة والعظة ، وبذلك يكون الإمام قد رسخ أسس المنهج النقدي لكتابة التاريخ . وعن هذا السبق يقول الكاتب والمؤرخ السوري الدكتور محمد يحيى الهاشمي : أن بذور هذا المنهج العلمي الدقيق نجده في مبادئ الإمام الصادق وتلميذه جابر ، إذا ما أمعنا فيهما النظر ودرسناهما دراسة متقنة ، لأن انتقاد القياس وترك مجال الفكر الحر للاعتبار بالكون وآياته البينات ، من شأنه أن يوسع حقل المعرفة ويفتح آفاقا جديدة للبحث والتنقيب[29] .

اهتمامات الإمام الصادق (ع) :

ـ نشأة الكون من منظور الإمام الصادق (ع) :

من يدرك ما للإمام الصادق من باع في التعامل مع نظرية دوران الأرض ، سيتردد بداية في القول : أن جعفر الصادق (عليه السلام) قد اهتدى إلى هذه النظرية بقوة حدسه أو بمحض إرادته ، ولكن إذا ما أطلعنا على ما ساقه عن تلك المسألة العلمية ، سيتبين لنا مدى علو كعبه في هذا الجانب ، فقد أشار الى وجود قطبين متضادين كناية عن القوتين ألسلبية والايجابية داخل الذرة الواحدة . وقد أكد (ع) على صحة نظرية الأضداد ، على أن العلم الحديث أثبت صحة ما ذهب أليه الصادق (ع) من أن نظرية القطبين المتضادين التي طلع بها الإمام

---

[28] اسم علم مؤنث معناه: العاقلة، الوقورة، الرزينة المتمكنة في رأيها ونفسها

29محمد يحيى الهاشمي : الإمام الصادق ملهم الكيمياء ، ص139 .

الصادق (ع) قد ظهرت أهميتها في القرن السابع عشر الميلادي حين أثبت علم الفيزياء وجود هذين القطبين[30] .
أما المتوقع من إثارة تساؤلات حول مصدر هذه المعلومات العميقة عند الإمام الصادق (ع) ، والتشكيك بها ، فأنه كان قارئا نهما للكتب وتواريخ الأمم ، وليس من شك أنه قد ألَّم بآراء فلاسفة اليونان ونظرياتهم، نقلا عن أقباط مصر . وما يستوجب الإشارة إليه والتنويه به ، أن الإمام الصادق وحين ذكره لهذه النظرية ، زاد عليها عما كان لعلماء الإغريق ممن ابتدعوها ، وهو موضوعة القطبين المتضادين .
ومن ذلك علينا أن ندرك جيدا أن الوقوف عند نظرية الإمام الصادق (عليه السلام)، تضعنا أمام محاولة عرض وتعليل ، لا تحتمل التأجيل او التسفيف .

- الجهد العلمي من منظور الإمام (ع):

المؤرخ الباحث عن الحقيقة المجردة، لا بد له من متابعة مجريات الأحداث وتعليلها واستقصاء الأسباب والوصول إلى النتائج، وليس من ديدنه القول باللدنية أو العلم الباطني. وقد عرف المؤرخ وغير المؤرخ أن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كان يستحصل العلم بحضوره درس أبيه الباقر، فضلا عن اشتغاله بالتدريس والتعليم، فلا سبيل إذن من القول بأن علمه لدني، ناله دون دراسة أو اجتهاد أو إمعان فكر .
ومن خلال الاطلاع على ما ساقه الكتّاب والمؤلفون والعلماء الذين سطروا تاريخ الإمام الصادق (عليه السلام) ، وما قاله هؤلاء المفكرون يتبدى لنا أنه عالم فذ ، أخذ بمناهج العلماء الأفذاذ، وبعناية إلهية ، تشكلت قدرته الفكرية الثاقبة بحيث فاقت قدرة جميع معاصريه من العلماء والباحثين، مستثمرا تلك القدرة ليتمكن بما تحقق له من نظريات علمية وكشوف لم يسبقه إليها أحد وأن يتبوأ مكانة راقية بين رموز العالم العلمية .
وأمام تلك الأسطر وبضعة الوريقات ، وما تضمنته من روايات تشير الى باع الإمام العميق في بعضٍ من العلوم الطبيعية والإنسانية ، تبقى الريشة والمدواة في عشق حقيقي لتتحدا وتخط بقوة وتحفر في الصخر ليستقر في الألباب : أن الإمام (ع) ما أن يلج باب علم إلا

30الصغير : محمد حسين ، المصدر السابق ، ص435

وتفتحت أبوابه من كل الجهات ، لتتسارع مفرداته وتتشكل روايات تتحدث عن تصاعد في مسار الإبداع واكتشاف أسرار الكون أمام ناظريه . والحق يقال أن ما أضافه (ع) الى خزائن العلوم أبان الدولة العباسية ، يعد مصدر هام أفاض كثيرا على تلك الخزائن بما تضمنته من موضوعات تفتحت على وفقها آفاق ورؤى جديدة ، أكسبت وزن الإمام العلمي ألكثير ، وبالتالي إقرار بالإسهام الشيعي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية من خلال رموزها وقادتها ، وهذا الخزين المعرفي ، كان رافدا حيويا للبناء الحضاري عند الغرب ، ومرتكزا علميا في مجالاة علمية عدة ، كان محورها علماء أفذاذ من العرب والمسلمين وكان علم الإمام الصادق (ع) ، أحد تلك العلوم المساعدة والرافدة .

ولعل من الأمور العلمية الهامة التي رسمت الإطار العلمي الممنهج لمسيرة الإمام (ع) نشير الى ثمة مشاريع فكرية أنجزها الإمام لتغدو السبيل إلى الإفصاح عن علميته ، وهي :

- مجابهة التيّارات المنحرفة ومقارعتها بالحجج العلميّة.
- مقابلة الانحراف الفكري الذي ساد المسلمين.
- مواجهة ظاهرة الغلوّ.
- تربية جيل من العلماء والفقهاء بدراسة العلوم المختلفة: العقائدية والفقهيّة، وعلومٍ كثيرة متفرّقة[31].

وزيادة على ذلك ، فثمة مظاهر للإمام (ع) ، تعد بمثابة ملامح فكرية أسهمت بشكل أو بأخر في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية ، وقد أوجزها الكاتب إبراهيم سرور في كتابه " الإعجاز العلمي عند الإمام الصادق " ببضعة نقاط تمحورت حول شخصية الإمام العلمية وإرهاصاته بوصفه رجل صاحب رسالة وعالم وأديب وشاعر ومنّظر ، وفي كل موضوعة من تلك الموضوعات بدا وكأنه متخصص حيث الإبداع ووجه المقاربة بينه وبين ما ذهب الاختصاصيون في تلك المجاميع العلمية التي كان لهم فيها باع طويل . ومن بين تلك

---

31 إبراهيم سرور : ألإعجاز العلمي عند الإمام الصادق ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 2010 ،

الموضوعات التي وردت في كتاب سرور ، وأفصحت بحق عن بنيوية الإمام الصادق ومدى رقي شخصيته هي :-
ـ الملامح العلميّة لشخصيّة الإمام الصادق عليه السلام، بما فيها علم الفلك.
ـ جامعة الإمام المثلّثة.. جامعة كبرى.
ـ الإمام الصادق عليه السلام مُلهِم الكيمياء.. أهميّة الكيمياء، عناصر علم الكيمياء، ترجمة ـ جابر بن حيّان، من تلامذة الإمام الصادق (ع).
ـ من هو أوّل من اكتشف الأوكسجين ؟!
ـ نظرية الصادق عليه السلام بشأن أشعّة النجوم .
ـ نظريّة الإمام الصادق عليه السلام في الضوء .
ـ النور في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
ـ الكون كتاب الله المنظور، تقدير الخَلْق في علم الله تعالى، نظرية نشوء الكون عند الإمام الصادق. عليه السلام، الانفجار الكوني.
ـ البُعد الزمني في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
ـ نسبيّة الزمن عند الإمام الصادق عليه السلام.
ـ القمر في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
ـ بحوث حول: الشمس، السماء..
ـ الماء عند الإمام الصادق عليه السلام.
ـ طبيعة الأرض في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
ـ الزلازل في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
ـ الأمطار في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
ـ بحوث في: عمليّة التبخّر، الهواء، الرياح، البحار، المآرب[32]
وهنا يؤكد سرور وكذا بالنسبة للصغير : من أن ما جاء به الإمام الصادق (ع) في أثناء حديثه عن بعض القوانين الفيزياوية ، كانت مطابقة جدا لما درجت عليه اليوم قوانين الفيزياء ، ومشيرا الى قوله (ع) بشأن ما يمكن أن تنقله مادة مثل الحديد أو ما يشار اليها بالأجسام الكدرة[33] . ويعد الحديد ناقل جيد للحرارة ، وعلى العكس تلك

---

32 نقلا عن الصغير : الإمام الصادق ... ص346
33الأجسام التي تحتوي في سائلها على شوائب مما يؤدي الى عدم صفائها .

التـي فيهـا مـن الصـفاء مـن الشـوائب تكـون غيـر ناقلـة للأمواج،وهـذه الأجسام يطلق عليها الكهرومغناطيسية.
وتقوم نظرية الإمام الصادق (عليـه السـلام) مـن بـاب المقاربـة فـي كـدر الأجسام أو صفائها على أساس الجاذبية والقدرة علـى الشـد والقـبض ، وإزاء ذلـك ، يـذكر الإمـام (ع) " إن الجسـم القـابض للحـرارة كـدر، والأجسام التي لا تمتص الحرارة شفافة على اختلاف مراتبها"[34].
ولا تقل نظرية الجاذبية عند الإمام الصادق (عليـه السلام) فـي أهميتهـا عن تلك النظرية التي تقضي بوجود قطبين متضادين ـ كما مر بنـا ـ بمـا تطابق قوانين الفيزياء الحديثة[35].
ومما لا ريب في أن العقلية التي اكتشفت الأسباب الكامنـة وراء صـفاء الأجسام الصلبة أو كدرها منذ اثني عشر قرناً ، هي عقلية سبقت جميع معاصريها، وليس من الغلو في شيء القول بأنها عقلية عبقريـة فريـدة فـي ميـادين العلـوم . ولـم ينتـه علـم الإمـام الصـادق (عليـه السلام) عنـد هذه النظريـة ومـا سـبق لـه كشـفه مـن نظريـات، بـل أن لـه فـي العلـوم نظريات أخرى لا تقل أهمية عما أوردناه.

ـ في مجال العلوم الطبيعية والانسانية:ـ

أولاـ في الطب البشري :

إذا ما تحدثنا عن علم الطب ، فعلينا أن ندرك أن الحديث عن الطب في التاريخ القديم او الوسيط يختلف عنه في العهد الحديث والمعاصر . لأن تقـادم الزمـان ومتغيراتـه ، يفـرض معادلـة واضـحة تؤكـد ان المتغيرات والتي نعنـي بهـا الطرق والوسـائل ، هـي فـي تغيـر مسـتمر ، في حين تبقى الثوابت على حالها ، فعلم الطب ، معني بعلاج الإنسان ، وهذا ثابت لا يتغير ، أما الوسائل المتبعة في هذا العلاج ، فهي خاضعة لمسيرة الزمن وما يحصل من تطوير في أفكار الإنسان . فالحديث عن باع الإمام جعفر الصادق فـي مجـال الطـب ، يجـب ان لا يقتـرن بمقاربـة بين ما كان عليه طب الإمام (ع) ومـا للطـب الحـالي مـن تقنيـة ووسـائل علاجيـة انعكسـت إيجابـا علـى جـودة الطـب ورقيـه. فـإذا مـا عـدنا الـى الوراء وتصفحنا تلك المراحل السـابقة للعهـد الإسـلامي ، وبالـذات فـي

---

34 المصدر نفسه : ص437.
35 الصغير : الإمام الصادق ، ص438

الجزيرة العربية ، سنجد أن لا عناية بالعلاج ولا وقاية عند العرب وقتذاك ، فمن أجتاز أمراض الطفولة ، قّل أن يمرض طول حياته ، نظرا لقوة أجسامهم وصلابة أبدانهم المتناغمة مع البيئة القاسية مما أنتجت أناس يتحملون تقلبات البيئة ووبائها[36] .

وقد جمع بعض علماء السلف شيئاً كثيراً من آراء أئمة أهل البيت (ع) في الطب وسماه (طب الأئمة)، والمجلسي يروي الكثير عن هذا الكتاب في موسوعته الكبيرة (بحار الأنوار) وكذلك الحر العاملي في (وسائل الشيعة)، إلا أن كتاب (طب الأئمة) هذا لا يعد في متناول الجميع .

وقد كان الطب من أحد العلوم التي كان يقررها الإمام الصادق في مدرسته، ويفيض في الإبانة عنها وكشف أسرارها وخفاياها. ولعل ما يسجل لمدرسة الإمام الصادق في مجال الطب ، هو السبق الذي ظهر عليه (ع) حين تحدث عن الدورة الدموية مضيفا إليها عمل المعدة في تمثيل الغذاء والكبد في امتصاص عصارة ذلك ، وجريانه في شرايين دقيقة تغذيه وتصب في روافده ، وانسيابه دما في العروق بعد طرح فضلاته ، وعمل المرارة والطحال ، وتغذية الأوردة بالدم حتى تكونه وجريانه من قبل مركز التوزيع وهو القلب[37] .

ومما لا شك فيه أن الوقوف على كنه هذا العطاء للإمام الصادق عليه السلام يعد إثراء للخزين المعرفي العربي والإسلامي بما أضافه على خزائن العلم المعلنة بوصفه علم الأئمة ، أما أن يكون مغيبا أو أن يكون مسروقا من آخرين حين لم يشيروا الى مصدر ما أخذه البعض وراح ينسبه الى نفسه ، وهي سرقة علمية وأخلاقية في نفس الوقت . فقد راجعنا جهوده في مجال الطب ، بوصف هذا العلم من أدق وأخطر العلوم ، ومن يخوضه لا يمكن إلا أن يكون قد خبر مجال العلوم فكان له فيه باع عميق ، إذ وجدنا العجب العجاب في فهم وأدراك الإمام (ع) لماهية الطب والتطبب . وتشير الدراسات الأوربية أن مكتشف الدورة الدموية الصغرى هو (د. وليم هارفي ت 1756م) ، وكان

---

36 جماعة من كبار المستشرقين : الأمام الصادق كما عرفه علماء الغرب ، ترجمة الدكتور نور الدين آل علي ، دار الذخائر للمطبوعات ، بيروت 1998 ، ص116 .
37 الصغير ، الامام جعفر الصادق ، ص449 .

للأمام إضافة معرفية على هذه العملية حين نوه بآلية الدورة الدموية مضيفا إليها عمل المعدة في تمثيل الغذاء الى جانب بيان وظيفة الكبد في امتصاص عصارة ذلك ، وغيره من أغراض ومسببات تحرك الأعضاء ووظائفها .

ولعل ما جرى من حوار علمي بين الإمام (ع) وبين تلميذه المفضل بن عمر يتعلق بالطب والطبابة والتطبب وتوصيف لأعضاء جسم الإنسان بشكل يبعث على العجب ، من شأنه أن يقرر ما للإمام من باع عميق في مجال عمل وآلية تحرك وأغراض هذا المشروع لكل عضو في جسم الإنسان . . وكان من أبهى وأصدق الصور الدالة على باع الإمام وقدرته على التعاط مع أي مستجدات في مجال عمله ، هو رده على تلميذه " المفضل بن عمر َ بقوله :

" إن الله خلق الإنسان على أثني عشر وصلا وعلى مائتين وثمانية وأربعين عظما ، وعلى ثلاثمائة وستين عرقا ، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله ، والعظام تمسكه ، واللحم يمسك العظام والعصب تمسك اللحم ، وجعل في يديه اثنين وثمانين عظما وفي كل يد إحدى وأربعين عظما منها في كفه خمسة وثلاثون عظما وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد ، وفي كتفه ثلاثة ، فذلك إحدى وأربعون ، وكذلك في الأخرى ، وفي رجله ثلاثة وأربعون عظما ، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظما ، وفي ساقه اثنان ، وفي ركبتيه ثلاثة ، وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان ، وكذلك في الأخرى ، وفي صلبه ثمانية عشر فقارة ، وفي كل واحدة من جنبيه تسعة أضلاع وفي وقصته ثمانية وفي رأسه ستة وثلاثون عظما وفي فيه ثمانية وعشرون عظما أو اثنان وثلاثون عظما))[38] .

وبخصوص هذا التفوق الواضح في علم الطب ، يقول الشيخ ميرزا محمد الخليلي : ولعمري ان هذا الحصر والتعداد هو عين ما ذكر المشرّحون في هذا العصر ، لم يزيدوا ولم ينقصوا . وفي حديث للأمام تطرق الى ما اشار اليه الإمام (ع) من معرفته بالدورة الدموية إذ " يقول الطعام يصير الى المعدة فتطبخه ، وتبعث بصفوه الى الكبد في

---

1 ضمن سلسلة أعلام أهل البيت : أعلام الهدايا ... الإمام جعفر الصادق ، قم المقدسة ، ص14

عروق رقاق واشجة بينها ، قد جعلت كالمصفى للغذاء لكي لا يصل الى الكبد منه شيئ فينكأها ، وذلك لأن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم أن الكبد تقبله فيستحيل فيها بلطف التدبير دما ، فينفذ في البدن كله ، في مجارٍ مهيأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء حتى يطرد في الأرض كلها ، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مغايض أعدت لذلك ، فما كان منه من جنس الغدة الصفراء ، جرى الى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من جنس البلة والرطوبة جرى الى المثانة . فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأوضاع منه موضعها ، وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه . فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير))[39] .

وقد ساق لنا ألمجلسي في موسوعته ما يؤكد اهتمام الإمام (ع) بمادة الطب ، نقلا عن المفضل بن عمر الجعفي الذي تحدث عن فضل الإمام الصادق في هذا المجال وهو ما أورده في كتابه (طب الأئمة) حين أكد على عناية الإمام بالطب ولا سيما ما يتعلق بوظائف الأعضاء وماهية الأدوية وفوائدها[40] . وهذا ما أكده كذلك كتاب طب الأئمة حين أشار إلى أن الإمام الصادق عليه السلام كان مهتما بالعديد من الامراض وعلاجها كما هو الحال في شحوب اللون وحمى الملاريا والمبطون من الألم بقوله : ((خذ الأرز فاغسله ثم رضه وخذ منه قدر راحة (راحة اليد) في كل غذاء وقال : أطعموا المبطون خبز الارز ، فما دخل جوف مبطون شيء أنفع منه ، أما أنه يدبغ المعدة ويسل الداء سلا))[41] .

وتطرق الكتاب الى معالجات الإمام الصادق (ع) لمرض البهاك والوضح ، مشيرا الى ان الرسول (ص) كان قد أوصى صاحب هذا المرض بضرورة دخول الحمام ومعه الحناء بالنورة ويبقى يطلي بها ولو لمرة واحدة ، إذ اكد الإمام (ع) وأقسم أنه استخدم هذا العلاج لمرة واحدة ، فإذا شيئا لم يكن . وساق لنا الكتاب كذلك وصفة تتعلق بالحياة

---

39 نقلا عن الشيخ الصغير : الإمام جعفر الصادق ، المصدر السابق ، ص448 .

40: للمزيد عن هذا الموضوع : يراجع كتاب المفضل بن عمر الجعفي المعنون بـ " طب الأئمة " .

41 المفضل بن عمر الجعفي ، " طب الأئمة " ص50 ..

الجنسية دلالة على واقعية الدين الإسلامي وتهذيبه ، حين أوصى لمن يعانون من الضعف الجنسي بقلي البصل بالزيت وخلطه بالبيض المملوح بعد رجه جيدا ، ومن ثم يعمد إلى خلط كل المكونات والأكل منها وسيشهد التحولات المطلوبة بأمر الله . فضلا عن وصيته بتناول البيض لمن يعاني من الضعف الجنسي لان البيض يعمل على زيادة مادة المني وإصلاحها[42]

والى ذلك ، فقد روى الكتاب أن الإمام الصادق (ع) كان قد وضع الأدواء كعلاج لبعض الأمراض ومنها : السعال والسل ووجع الحلق والزكام والارياح ووجع المثانة والحصبة وأوجاع المفاصل وسلسل البول والإسهال والجدري ووجع البطن والبواسير والسموم والوباء والجذام والبرص والبهق والبلة والرطوبة والرمد والصداع والروماتزم ولدغة العقرب والهوام ووجع الأذن والجنون والصرع والديزانتري وغير ذلك الكثير من الأمراض ممن أشار الى دوائها . وفضلا عن تلك الأدوية ، وهي الان باتت مثل الدولار يسعى المرء ورائها دونما ان يتلمسها ويتعاطاها . ومن بين تلك العلاجات ، وهي طبيعية ما يلي :-

- الحبة السودا والبنفسج والكمأة والفلفل الأبيض ودار الفلفل والنشادر والصبير والكافور والمرمر والكاشم والأرز والسماق والحرمل والكراث والجوز والزبيب والخس والكرفس والبصل والثوم وغير ذلك الكثير من المواد الطبيعية التي أثبت العلم الحديث صحة فعاليتها في علاج الكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان . لقد أوصى (ع) بأكل الثوم مؤكدا على انه يشفي من سبعين داء من أهمها انه مفيد جدا للقلب وينقيه من تصلب الشرايين ويفيد كذلك في معالجة الربو وبعض أنواع السل الرئوي وأشار الى إن الثوم محسن للبشرة ومحمر للوجه ومطهر للأمعاء من التعفنات ولا سيما عند الأطفال ومسكنا للسعال الديكي وغير ذلك أيضا الكثير مما أشار إليه من العلاجات بهذه الثمرة البسيطة[43] .

---

42 المصدر نفسه : ص53 ، وينظر للمزيد ينظر: وسائل الشيعة للحر العاملي ج 2 ، ص 281 - 312 ؛ مستدرك الوسائل للنوري ، ج 2 ، ص 99 - 125 وراجع البحار ج 14، ص 509 - 869 .

43 طب الأئمة : ص58 .

وتحدث عن فوائد البصل فقال : " كُل البصل ففيه ثلاثة خصال يطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد في الماء والجماع ويذهب الحمى[44] . وأشار فضلا عن ذلك ، الى فوائد العنب مؤكدا انه مسهل للمعدة ومنق للدم ومغذ للبدن وعصيره مجدد للقوى ومنبه للدورة الدموية ومفيد للتخمرات المعدية . وهذا ما أكده علماء الطب بقولهم : انه ينشط عصارة الببسين في المعدة وينفع الطحال واحتقان النخاع وهذا ما يتفق وقول الإمام : أنه يشد العصب ويذهب النصب ويطيب النفوس . وقال في موضع اخر : أطعموا أولادكم الرمان فأنه أسرع لشبابهم وقال عليه السلام : كلوا الرمان بشحمه فأنه يدبغ المعدة ويزيد في الذهن . وبالمقابل فقد أكد الطب الحديث أن الرمان من شأنه أن يعمل على تصفية الدم وانه مولد للخلط الصالح ومنغط المحرورين ومفتح للسدد وملين للبطن ، ومدرر للبول ، ومقو للكبد ، ومفيد لليرقان والطحال وخفقان القلب والسعال الحاد ومصف للصوت ، ومحسن لرونق الوجه ، ويروى به الوجه وينفع من الديدان[45] .

وإذا ما تتبعنا مسار هذا الرواية فمن المؤكد أننا سنجد معنى غير معلن أراد الإمام عليه السلام أن يظهره للمريض وغير المريض من البشر بقوله (أسرع لشبابهم) فسنجد جل الخواص التي يشير إليها الأطباء تتجلى في معناها . فالشاب لا يسرع نموه الكامل إلا إذا صفا الدم وتولد الخلط الصالح وقوي الكبد وازداد رونق الوجه وحصل رواء البدن . وانظر الى كلامه : يدبغ المعدة ، تجد إن المعدة إذا دبغت أي جفت رطوبتها الفضلية المرخية المخفية لأعصابها قويت على الهضم ، والغذاء أذا هضم أود الدم النقي الصالح وإذا صلح صلحت تغذية البدن وإذا صلحت التغذية قوي البدن وحصلت المناعة والطاقة التي بها يزول كل ما ذكره الأطباء من الأمراض[46] .

وأشار كذلك الى فوائد ثمرة التين الجمة والتمر . واذا ما راجعنا الطب الحديث فسوف لن نجد فارق بين ما ذهب إليه الإمام وبين ما أقره الطب الحديث بدلالة ما قاله بعض الأوربيين المعاصرين عما ذهب

---

44 المصدر نفسه : 59

45 طب الأئمة : ص65 وانظر للمزيد : الوسائل ، ج3، ص30

46 الوسائل ، ج3: ص65

إليه الإمام الصادق في مجال الطب : لقد كان الإمام ملما بالطب وكان يلقي دروسا فيه ، أفاد منه كثير من الاطباء والباحثين والمرضى في القرنين الثالث والرابع . ويرى هؤلاء الأطباء الأوربيون أنهم استفادوا كثيرا من نظريته في إمكان تنشيط الدورة الدموية عند حدوث سكتة مفاجئة أو توقف مؤقت حتى لو ظهرت على المريض أمارات الموت ، أو علامات شبيهة بعلامات الموتى[47] .
وأشاروا كذلك الى ما ساقه الإمام الصادق عن أبعاد الهيكل العظمي للإنسان وحنايا الجسم ومفاصله . ومن روعة علم الإمام بأدق تفصيلات جسم الإنسان - كما مر بنا - يشير الى ((ان في صلب الإنسان ثماني عشرة فقرة ، وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع ، وفي وقصته (عنقه) ثمانية ، وفي رأسه ستة وثلاثون عظما وفي فيه ثمانية وعشرون ، أو اثنان وثلاثون عظما))[48] .
والى ذلك ، أشاد الطبيب الأديب الشيخ محمد الخليلي بما ذهب إليه الإمام من حصر وتعداد لجزئيات في جسم الإنسان إذ يقول : ((ولعمري إن هذا الحصر والتعداد هو عين ما ذكره المشرحون في هذا العصر ، لم يزيدوا ولم ينقصوا ، اللهم إلا في التسمية ، او جعل الاثنين لاتصالهما واحدا أو بالعكس ، وهذا ما يدلنا على اطلاعه الكامل بالتشريح ونظره الثاقب في بيان تفصيل الهيكل العظمي في بدن الإنسان))[49] . وزيادة على ذلك ، فقد أظهر الإمام باعا طويلا أيضا في مجال الأمراض الباطنية ، محددا تلك الأمراض مثل الحمى ومرض القلب وأمراض المعدة وتوابعها ، وأمراض الصدر ، ومنها بالذات الربو .
ومما لا ريب فيه أن الإمام الصادق (ع) كان على معرفة أكيدة بالطب، وقد خصص فيما ألقاه على المفضل بن عمر الجعفي فصلاً تحدث فيه عن الطبائع وفوائد الأدوية ووظائف الأعضاء . وقد جمع بعض علماء السلف شيئاً كثيراً من آراء أئمة أهل البيت (ع) في الطب وسماه (طب الأئمة)، والمجلسي يروي الكثير عن هذا الكتاب في

47 جماعة كبار المستشرقين : المصدر السابق ، ص112 .
48المجلسي : بحار الانوار ، 58/ 317 .
49 محمد الخليلي : طب الامام الصادق (عليه السلام) ، منشورات الشريف الرضي ، النجف الاشرف ، 1970 ، ص30 .

موسوعته الكبيرة (بحار الأنوار) وكذلك الحر العاملي في (وسائل الشيعة)، إلا أن كتاب (طب الأئمة) هذا فُقِدَ بعد ذلك ولا وجود له اليوم إلا في بطون الكتب.

وقد كان الطب من أحد العلوم التي كان يقررها الإمام الصادق في مدرسته، ويفيض في الإبانة عنها وكشف أسرارها وخفاياها. ولعل ما يسجل لمدرسة الإمام الصادق في مجال الطب ، هو السبق الذي ظهر عليه حين تحدث عن الدورة الدموية مضيفا إليها عمل المعدة في تمثيل الغذاء والكبد في امتصاص عصارة ذلك ، وجريانه في شرايين دقيقة تغذيه وتصب في روافده ، وانسيابه دما في العروق بعد طرح فضلاته ، وعمل المرارة والطحال ، وتغذية الأوردة بالدم حتى تكونه وجريانه من قبل مركز التوزيع ، وهو القلب[50] .

ويتطرق الإمام الصادق ومن خلال حديث وأسلوب رشيق وشيق عن علاقة سلوكية المرء بحالته الصحية ! إ ذ يذكر وأمام صمت ودهشة جميع من كان جالسا في بلاط الخليفة فيقول : أن طبائع الإنسان أربعة هي : الدم وهو عبد وربما قتل العبد سيده، والريح وهو عدو إذا سددت له باباً أتاك من آخر، والبلغم وهو ملك يدارى، والمرّة وهي الأرض إذا رجفت بمن عليها) . وفي سياق رد ابن ماسويه[51] ، قال تأكيدا على صحة ما ذهب إليه الإمام الصادق : (أعد عليّ فو الله ما يحسن جالينوس أن يصف هذا الوصف) . وفي محفل أخر سأل طبيب نصراني الإمام الصادق عن تفاصيل جسم الانسان .فقال له (ع) : إن الله تعالى خلق الإنسان على اثني عشر وصلاً وعلى مائتين وستة وأربعين عظماً وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله والعظام تمسكها والشحم يمسك العظام والعصب يمسك اللحم. وأضاف ... وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً، في كل يد واحد وأربعون عظماً، منها في كفه خمسة وثلاثون عظماً، وفي ساعده اثنان، وفي عضده واحد، وفي كتفه ثلاثة وكذلك الأخرى، وفي رجله

---

50 الصغير ، الامام جعفر الصادق ، ص449 .

51 أبو زكريا يحيى بن ماسويه الخوزي طبيب عالم ومترجم مسيحي، أبوه سرياني وكان صيدلانيًا في جنديسابور (خوزستان) ثم عمل طبيبًا في بغداد، أمّا أمه فكانت صقلبية، يعود له الفضل في تطور العديد من العلوم في العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول.

ثلاثة وأربعون عظماً، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان وكذلك في الأخرى، وفي صلبه ثماني عشرة فقارة، وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع، وفي عنقه ثمانية، وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً، وفي فيه ثمانية وعشرون واثنان وثلاثون)[52].
ومن ضمن ما يعد من المعلومات غير المعروفة ، ما أشار إليه من ان باستطاعته أن ينقذ من يشرف على الموت بأمر الله تعالى ، وقال من الممكن تحقيق ذلك من خلال تنشيط الدورة الدموية عند حدوث سكتة مفاجئة أو توقف مؤقت ، وذلك بقطع وريد بين أصابع اليسرى لتنشيط الدورة الدموية . والى جانب ذلك ، فمن ((نظرياته التي انتفع بها الأطباء في عصره وبعد وفاته رأيه في إمكانية تنشيط الدورة الدموية حتى ولو ظهرت على المريض إمارات الموت أو علامات شبيهة بعلامات الموتى، وقد يعيد الحياة إلى المريض قطع وريد بين أصابع يده اليسرى ، عملا بتنشيط الدورة الدموية) . ولا شك أن تلك المزية للإمام الصادق التي أثرت في عصره بعد استشهاده ، تقربنا أكثر من ماهية النظرية الفلسفية العالمية لتوماس كارلايل (نظرية البطل في التاريخ) .

في علم الكيمياء :

تشير المصادر الموثوقة الى أن الإمام الصادق كان له أثر بالغ الأهمية في إرساء قواعد العلم التجريبي ، وكان علم الكيمياء أحد تلك العلوم التجريبية ، وهذا يتبين من خلال تدريسه مادة الكيمياء في مدرسته في الكوفة . وهنا كان الإفراز الانتقائي للرموز العلمية ممن كان لهم عميق الأثر في بلورة أفكار عدة تتعلق بعلم الكيمياء . على أن المستوى الراقي لطلبة متميزون درسوا على يد الإمام الصادق (ع)، يعكس صورة نموذجية لمن تعلم على يديه (ص) ، فكانت تلك المدرسة العلمية قد تمخض عنها رموز علمية ، كانت بصماتهم واضحة في هذا العلم . من أمثال جابر بن حيان وهشام بن الحكم ، الذي اقتحم واثبت صحة نظريته . وكانت له نظرية تتمحور حول جسمية الأعراض كاللون والطعم والرائحة مشهورة، وقد أخذها عن تلميذه إبراهيم بن

52 الصغير : محمد حسين : الامام جعفر الصادق ، ص450 .

سيار المعتزلي[53] . ومؤدى هذه النظرية أن الضوء يتألف من جزيئات في منتهى الصغر تجتاز الفراغ والأجسام الشفافة، وأن الرائحة تتألف من جزيئات متبخرة من الأجسام تتأثر بها الغدد الأنفية، وأن المذاق جزيئات صغيرة تتأثر بها الحليمات اللسانية. وقد أثبت العلم الحديث صحة ما ذهب إليه هشام بن الحكم الذي أخذه عن أستاذه الإمام جعفر الصادق (ع) . وزيادة على ذلك ، فأن هؤلاء العلماء يعدون من مخرجات مدرسة الإمام في الكوفة ، وإذا ما غمطت أو أغفلت عطاء الإمام الصادق في هذا المجال من مجالات علمية عدة عني بها الإمام (ع) ، فأن هذا الحق المغيب ، كشفت عنه مصادر أوردت عطاء من تتلمذ على الإمام الصادق من أمثال جابر بن حيان وإبراهيم بن سيار المعتزلي الذي أكد أن الضوء يتألف من جزيئات في منتهى الصغر تجتاز الفراغ والأجسام الشفافة[54] . وفي ذات السياق من عطاء مدرسة الإمام في علم الكيمياء ، فقد دون جابر بن حيان في ألف ورقة وخمسمائة رسالة من تقريرات الإمام في علمي الكيمياء والطب . الى جانب تمكنه من تحقيق وتطبيق طائفة كبيرة من نظريات الإمام العلمية كما في تحضير (حامض الكبريتيك) وسماه بتقطيره من الشبه وسماه بـ(زيت الزاج) ، كما حضر (حامض النتريك) و(ماء الذهب) و (الصودا الكاوية) وغير ذلك الكثير من التفاعلات الكيميائية .

ولم تقف عبقرية جابر في الكيمياء عند تحضير هذه المواد فحسب، بل انه انبعث منها إلى ابتكار جديد في الكيمياء سماه (علم الميزان) أي معادلة ما في الأجساد والمعادن من طبائع. وقد جعل لكل جسد من الأجساد موازين خاصة بطبائعه، وكان ذلك بداية
لعلم المعادلات في طبائع كل جسم[55] .

---

53 إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام البصري، وُلد في البصرة، واختُلِف في عام ولادته اختلافا كبيرا، وتجعل الأقوال ميلاده ما بين عام160 هـ و185 هـ777/م .تتلمذ في الاعتزال على يد أبي الهذيل العلّاف، ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً (النظّامية)، وكان أستاذ الجاحظ .توفي في بغداد، واختُلِف أيضاً في زمن وفاته، ما بين عام 221 هـ836/م وعام 229 هـ ،

54 احمد امين : طبعه مكتبه النهضه المصريه سنه 1935- scanned :: الهند كتب او مخطوطات لها علاقة - :ضحي الاسلام-جـ 02 - احمد امين.

3 - جغرافيا.بيوجرافي=سيره.تاريخ-العصر العباسي النوعيه 55 متاح على الموقع http://mawdoo3.com: ص 427 المصدر

. كما امتد نشاط جابر إلى ناحية أخرى من الكيمياء يسمونها (الصنعة) أي تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة من ذهب وفضة بموجب توجيهات الإمام الصادق(ع). ويعد جابر رائداً لمن أتى بعده من العلماء الذي شغفوا بهذه الناحية من الكيمياء كالرازي وابن مسكويه والصغرائي والمجري طيو الجلدكي) . وقد أفرد الدكتور محمد يحيى الهاشمي كتاباً سماه (الإمام الصادق ملهم الكيمياء)، وفيه يرى أن (الإكسير) الذي كان جابر يديره في الكوفة لتحويل المعادن إلى ذهب إنما هو (الراديوم) أو أحد الأجسام المشعة، ويقول (ومما يزيد إعجابنا ادعاء جابر بأن هذا السر له دخل في جميع الأعمال. ونحن إذا أمعنّا النظر في الوقت الحاضر لوجدنا أن اكتشاف الأجسام المشعة التي تؤدي إلى قلب عنصر المادة وتحطيم الذرة لم يكن من نتائجها القنبلة الذرية فحسب، بل إيجاد منابع قوى جديدة لم تكن تطرق على بال الإنسان)[56] .

ـ في الحِكم والأمثال :ـ

ما يستوجب الإشارة إليه أن الصادق (عليه السلام) حين يشرح نظرياته ، فأنه يأتيها بشرح وافٍ وعرضٍ علمي سهل رصين ، وحينها يمكن للأذهان تقبله واستيعابه. فالقوانين العلمية التي أتى بها قد ساقها بأسلوب واضح، وصاغها بعبارات لا تحتمل اللبس، إدراكاً منه لحقيقتين، هما أن انتشار العلم رهن بالقدرة على فهمه، وأن قوانين العلوم تبقى للدهر، ولا تنتهي بوفاة واضعيها.

وهذا القول يصدق أيضاً على الحكم والأمثال السائرة، ولا بد لسهولة تقبلها من الناس وسريانها على الألسنة ، من أن تكون سلسلة العبارة سهلة المأتى بليغة التعبير. وهكذا تدخل الأمثال إلى المعاجم، وتبقى جزءاً من الثقافة العامة للناس جميعاً، يستشهدون بها ويتناقلونها. وللإمام الصادق (عليه السلام) حكم وكلمات قصار شاعت بين الناس، وتقبلتها أقوال كثيرة قبولاً حسناً بل منهم من رواها دون أن يفطن إلى واضعها ومنشئها.

56 مجلة النبأ، المصدر السابق : ص14.

ومن الحكم التي ساقها الإمام الصادق (عليه السلام) قوله مثلاً: (الإنسان إذا مرض أو وجع عرف نفسه). ولأنها تتعاط وبشكل كلي مع حقيقة العلاقة بين تدهور صحة الإنسان وبين تدهورها . فقد شاعت بين الأمم لصحة وسلامة مسارها . وهذه الحكمة تعد من محاور علم النفس حين كشفت عن حقيقة تفكير الإنسان بنفسه واعتزازه بها ، لا سيما انه يرى أن الإنسان لا ينسى نفسه فقط عندما يحل به ألم، إذ أنه كثيراً ما ينسى نفسه ووجوده في غياب الألم وتوافر الصحة[57] .

ـ مصادر علمية الإمام الصادق (ع) :ـ

ان تدوين التاريخ على أساس المرويات الصحيحة والبعيدة عن المنال لا يمكن أن يتم إلا لمن أدرك معنى الأمانة العلمية في كتابة التاريخ . واذا ما ناقشنا ثمة تساؤلات أو اراء بهذا الشأن ، أعتقد انه سيكون بمثابة إسهام لتصويب مسار التاريخ ، الى جانب إنصاف من لم ينصفه التاريخ حين أُغمطت الكثير من حقائق ذلك التاريخ ، لأن صانعي تلك الأحداث هم ممن ليسوا على خط الخلافة الأموية او العباسية . وما دمنا في سياق الترجمة لشخص الإمام الصادق (ع) وبيان علمه وعلومه ، فلا بد من الرد او توضيح على الأقل للرد على ما قيل من مرويات تحاول أو هو شأنها في السعي لتشويه صورة الإسلام من خلال تشويه صور رموزه العظام . فقد أشارت بعض الروايات غير المحققة او الرصينة الى ان الإمام الصادق (ع) كان علمه بالنظريات العلمية قد استمده من كتب الإغريق والرومان القديم . وهو أمر لا بأس بالقول به ، ولكن اذا ما افتقرت هذه الرواية الى التوثيق ، فهي بلا شك غير صحيحة ، فضلا عن ان سيرة الإمام ومناظراته العلمية مع الأطباء ولا سيما مناظرته المشهورة مع الطبيب الهندي الذي تواجد في مجلس المنصور ، الخليفة العباسي لغرض قراءة كتب الطب عليه ، كانت تشهد على علمية الإمام بهذا الشأن ، فما انتهت إليه تلك المناظرة من اعتراف هذا الطبيب بعلمية الإمام الصادق الأصيلة وغير المكتسبة من كتب ومصادر أخرى بقدر ما كان

---

57 جماعة كبار المستشرقين : المصدر السابق ، ص285 .

علمه مستمد من علم أبائه وجده الرسول الأعظم (ص) يقطع الجدل[58]
.
وفضلا عن ذلك ، فما أضاف من النباهة والعلمية المسدد للإمام الصادق (ع) هو تواصله في الحضور ضمن حلقة أبيه العلمية " الإمام محمد الباقر (عليهما السلام) فضلا عما كان يغرزه الباقر من أسرار العلوم والقيم حين تتلمذه عليه وضمن حلقاته الحوزوية والعلمية . وهذا ما يؤكد ان الأئمة الأطهار عليهم السلام ، لم يكسبوا العلم اكتسابا ، بقدر ما كان علما متوارثا انتهاء بعلم الرسول الأعظم (ص) وهذا ما تؤكده مصادر محايدة ، لا تبتغي سوى إقرار الحقيقة التاريخية وإعلانها ، كما هو الحال فيما ذهب إليه المجمع العلمي للدراسات الإسلامية بجامعة ستراسبورغ ، حين ساق العديد من تراجم الرجال ، وهي تؤكد وبموضوعية تامة ، أن الإمام كان قد اقتبس علمه من آبائه وأجداده .

ـ في مجـــال الفيـــزيـــاء :

لم يقتصر إبداع ونباهة الإمام الصادق (عليه السلام) على علم الطب او الكيمياء او التنمية البشرية فحسب ، بل وجدناه يتعدى ذلك ليشمل الخوض في غمار العلوم الطبيعية ومنها الفيزياء بما شكله من طفرة نوعية في تكوينه المعرفي . فقد أشارت الروايات إلى هذا المنجز العلمي للإمام الصادق (ع) . ولما كنا في سعي إحلال الإمام (ع) ضمن أبطال أو عظماء التاريخ السبعة الذين حصلت الموافقة العامة من قبل المؤسسات العلمية العالمية بناء على ما وصل إليه صاحب نظرية البطل في التاريخ ،توماس كارلايل فقد بات لزاما علينا الكشف عن كل ما له من علاقة بهذا الارتقاء ومنها باعه الطويل في علم الفيزياء فإذا ما أردنا بيان الباع الطويل لأي عالم وفي أي مجال من مجالات العلوم المتعددة ، فمن الطبيعي أن ذلك سيتحقق إذا ما عمدنا الى مقاربة بين ما ذهب الإمام (ع) إليه من معرفة بأحوال

58للمزيد ينظر :المناقب ج4 ص258 .

الفيزياء او الكيمياء ، وبين ما وصل إليه آخرون في هذا المجال . فمن الفخر والعز أن ندون هنا أن الإمام الصادق (ع) وبعد مضي ألف عام كان قد تمكن من تقويض نظرية أرسطو من أساسها بعدما عاشت قرابة ألف سنة ـ كما اشرنا ـ وسبق عصر العلم والاكتشافات الحديثة بمثله من السنين .

فحين درس الإمام جعفر الصادق في مدرسة أبيه محمد الباقر (عليهما السلام) ، بانت حينذاك ملامح دراسة الفيزياء في تلك المدرسة من خلال ما عمد إليه الإمام الصادق من تحرٍ عما كان سائدا من أن مفردات أصول الكون الأربعة كانت تتشكل من الماء والتراب والهواء والنار ، وقد اعترض الإمام الصادق (ع) هنا وما كان اعتراض الإمام الصادق هنا هو إن تلك العناصر الأربعة غير قابلة للتجزئة ، معتقدا ان أرسطو لم يكن قد علم وانتبه لذلك. مؤكدا على أن التراب مركب من أجزاء وعناصر كثيرة منها الحديد، وهو بدوره مركب من أجزاء كل جزء منها يعتبر مستقلاً، وكذلك الهواء والماء. وهو بذلك يشير الى ابتكار جديد تكرس لحقيقة أن الهواء ليس من العناصر البسيطة وإنما هو مركب من عناصر متمازجة، كما ظل هذا الكشف مهملاً بعده حتى جاء في القرن الثامن عشر الميلادي العالم الفرنسي (لافوازيه)[59] فحلّل الهواء واستخرج منه الأوكسجين، وبرهن على أثره الحيوي الفعّال في التنفس وفي حياة الإنسان وفي عمليات الاحتراق[60].

وزيادة على ذلك ، فثمة ارتقاء فكري بان عليه الإمام الصادق (ع) من خلال ما أضافه الى علم الفيزياء كما هو الحال في قيامه بإجراء تجربة ذوبان الحديد بفعل الأوكسجين التي اضطلع بها الإمام الصادق في ذلك العصر، لم يوفق لافوازيه للقيام بها بعده بألف عام)[61] .

أما نظرية الإمام الصادق الخاصة بنشأة الكون، فلا تختلف عن النظرية العصرية الخاصة بالذرّة وأصل الكون، إذ أشار الإمام إلى وجود قطبين متضادين، وهو ما يماثل القوتين الإيجابية والسلبية داخل الذرّة، ومنهما تتألف الذرة، وتتولد المادة من الذرة.وهذه النظرية

---

[59] أنطوان لافوازييه، كيميائي فرنسي، اشتهر بأبحاثه غير المسبوقة عن غاز الأُكْسِجين ودوره في عملية الاحتراق. أَحْدَثَ ثورةً في علم الكيمياء، وحوَّله من البحث النوعي إلى الكَمِّي.

60 الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص120 .

61المصدر نفسه : ص127

العلمية الدقيقة تتفق مع نظرية علماء الفيزياء في هذا القرن، بل إن العلماء المعاصرين لم يضيفوا إليها إضافة جديدة ذات بال. وقد ظهرت أهمية هذه النظرية في القرن السابع عشر الميلادي عندما أثبت علم الفيزياء وجود هذين القطبين المتضادين، وإن ما نعرفه اليوم من علوم الذرة والكهرباء والإلكترونيات قد قطع بسلامة هذه النظرية وأكد وجود القطبين المتضادين في المغناطيس وفي الكهرباء وفي نواة الذرة وفي غير ذلك من ميادين العلوم[62] .

لقد تعرض الإمام الصادق في علم الفيزياء لمسائل لم يتعرض لها أحد قبله ولا بعده إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ومن ذلك مثلاً تصنيفه الأجسام الصلبة كدرة وأخرى صقيلة شفافة إذ قال: (كل جسم صلب جامد يكون كدراً، وكل جسم صلب دافع يكون لماعاً وشفافاً) وفي الرد على سؤال: ما الذي يجذب؟ قال: (إن الحرارة هي التي تجذب) وقد أصبحت هذه النظرية في يومنا الحاضر قانوناً علمياً في الكهرباء والفيزياء[63]. ونحن نعرف في قوانين الفيزياء الحديثة أن كل جسم كدر تصدر عنه أمواج إلكترونية وأشعة حرارية فيكون موصلاً جيداً للحرارة وللأمواج، وأن الأجسام التي لا تنتقل منها الحرارة بسهولة، أي غير الموصلة للحرارة الجاذبة لها، وغير الناقلة للأمواج الإلكترونية تعتبر أجساماً عائقة وتكون شفافة لماعة. بعبارة أخرى، إن الأجسام الكدرة كالحديد تنقل الأمواج الكهرطيسية وتنقل الحرارة وتجذب، في حين أن الأجسام الشفافة كالبلور والألماس لا توصل الحرارة - أو توصلها ببطء - وتحول دون انتقال الأمواج الكهرطيسية فلا تجذب وتعتبر أجساماً عائقة[64].

إن نظرية الجاذبية عند الإمام لا تقل أهميتها عن نظريته القائلة بوجود قطبين متضادين، وهي تطابق قوانين الفيزياء الحديثة من حيث تعليل أسباب كدر الأجسام الصلبة أو صفائها.

ولا ريب في أن العقلية التي اكتشفت الأسباب الكامنة وراء صفاء الأجسام الصلبة أو كدرها منذ اثني عشر قرناً هي عقلية سبقت جميع

62الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص130

6363المصدر نفسه : ص131

64نقلا عن مجلة النبأ ، العدد 53 ، ك2001 ، ص92.

معاصريها. وليس من الغلوّ في شيء القول بأنها عقلية عبقرية فريدة في ميادين العلوم. ولم ينته علم الإمام الصادق عند هذه النظرية وما أوردنا له من النظريات سواها، بل إن له في العلوم نظريات أخرى لا تقل أهمية عما أوردنا ومنها تفصيله المتعلق بخلق الإنسان من تراب، ذلك التفصيل الذي لم يسبقه إليه أحد قبله. وذلك أن جميع المسلمين يقولون بخلق الإنسان من تراب تبعاً للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. لكن الإمام يفصل القول موضحاً (إن جسم الإنسان يتألف من نفس العناصر الموجودة في الأرض ولكن بنسب متفاوتة، فهناك عناصر توجد في جسم الإنسان بنسبة اكبر من نسبة وجودها في الأرض، وهناك عناصر أخرى توجد بنسبة أقل منها...هناك أربعة أشياء توجد في جسم الإنسان بصورة أكبر من سواها، وثمانية أشياء تأتي في مرحلة ثانية وثمانية أشياء هي أقل مما في القسمين الأولين)[65].

أما عن النظرية المتعلقة بانتقال بعض الأمراض عن طريق الضوء من المريض إلى السليم ، فأن مؤدّى هذه النظرية أن هناك أمراضاً ينبعث منها ضوء، فإذا أصاب هذا الضوء أحداً انتابته العلّة.

ولم يستطع علماء الأحياء هضم هذه النظرية وقبولها اعتقاداً منهم بأن العامل الرئيسي في انتقال المرض هو الميكروب أو الفيروس الذي ينتقل بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الحشرات أو الماء أو الهواء الملوّث، وكان الاعتقاد السائد بين الأطباء قبل اكتشاف الميكروب أن الرائحة هي السبب الفعال في انتقال المرض. وفي هذا السياق من الوقوف على الاسباب الموجبة لانتقال المرض ، أكد الإمام الصادق (ع) من أن الضوء المشع المنبعث من المريض هو الذي يتسبب في نقل العدوى ، وهذا القول لم يقل به أحد في أي مرحلة من مراحل تاريخ الطب الطويل قبل وبعد الإمام، حتى جاءت التجارب العلمية المعاصرة معززة ومثبتة لصحة آراء الصادق هذه، وذلك عندما استطاع مركز في الاتحاد السوفياتي وهو من أهم مراكز الأبحاث في العلوم الكيميائية والطبية ، أن يثبت للمرة الأولى بأن هناك من

65النبأ (مجلة) : المصدر السابق ، ص100 .

الأمـراض مـا يشـع ضـوءً، وأن هـذا الضـوء قـادر فـي حـد ذاتـه ودون ميكروب أو فيروس على إصابة الخلايا السليمة وإيقاع المرض بها)[66] ويؤخذ من الأبحاث التي أجريت في هذا المركز العلمي السوفياتي خلال ربع قرن، والتـي عززتهـا تجـارب علميـة مماثلـة فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أن خلايـا جسـم الإنسـان تصـدر عـن كـل منـهـا أشـعة فـوق بنفسجية، كما أنـها تستقبل هذه الأشعة، وتنتقل العدوى مع هذه الأشـعة مـن الخلايـا المريضـة إلـى الخلايـا السـليمة دون انتقـال أي ميكـروب أو فيـروس. ولا ريـب فـي أن النتـائج التـي أسفرت عنـها هذه التجـارب قد فتحـت أمـام علمـاء الأحيـاء والطـب ميـدانـاً جديـداً يطرقونـه لمعالجـة الأمـراض يتمثـل فـي اللجـوء إلـى إحـدى طـريقتين: إمـا الاهتـداء إلـى وسيلة تمنـع انتقـال الأشـعة فـوق البنفسـجية مـن الخليـة المريضـة إلـى الخليـة السـليمة، وإمـا بإكسـاب الجسـم مناعـة بحيـث تسـتطيع خلايـاه السـليمة مقاومـة هـذه الأشـعة الناقلـة للعـدوى.وقـد أنعـش هـذا الكشـف العلمي العظيم آمالاً عريضة في إمكانية التوصل بهذا الأسلوب لمعالجة الأمراض المستعصية كالسرطان وغيره)[67] .

في مجـــالات علميـــة أخـــرى

- عالم الكون

لـم يختـزل الامـام الصـادق بعنايتـه جانـب مـن جوانـب العلـوم ومخرجاتهـا ، بـل امتـدت عنايتـه لتشـمل محطـات أخـرى علـى أهميتهـا ودقة الخوض فيها ، فقد أفصحت رؤيته عن اقتدار في هذا الجانب من العلوم ، وهو "عالم الكون" وإزاء ذلك

قـال الإمـام الصـادق (ع) أن الكـون لا ينحصـر فـي عالمنـا وحـده وإنمـا هنـاك عـوالم أخرى،وقسـم العـالم إلـى قسـمين: العـالم الأكبـر والعـالم الأصـغر، وأن عـدد العـوالم فـي كـل قسـم كثيـرة ولا يعلـم عـددها إلا الله تعـالى.وقـال أن بـين النجـوم التـي نراهـا فـي الليـل مـا هـو أضـخم مـن الشـمس بحيـث تعتبـر الشـمس بالقيـاس إليهـا صـغيرة الحجـم ضـئيلة الضـياء. وقـد جـاء العلـم الحـديث بعـد اثنـي عشـر قرنـاً ونصـف القـرن

66متاح على الموقع
https://www.aqaed.com/ahlulbait/books/askeugh/24.htm:
67متاح على الموقع
https://www.aqaed.com/ahlulbait/books/askeugh/24.htm:

مبرهناً على صحة هذه النظرية، وقام الدليل على أن هناك آلافاً من العوالم والمنظومات الشمسية الشبيهة بعالمنا ومنظومتنا الشمسية تعز على الحصر، وأن هناك مجموعات من النجوم السواطع (مجرات) يتضاءل تلقاء حجمها وضيائها حجم الشمس وضياؤها ويطلق عليها اسم (كوزارز) [68] وبعضها يبعد عن الأرض بمقدار تسعة مليارات من السنين الضوئية، وأن الضوء المنبعث من بعضها أكبر من ضوء الشمس بعشرة آلاف مليار مرة)[69] .

وتذهب نظرية الإمام الصادق (ع) إلى أن لكل ما في العالم الأصغر شبيهاً في العالم الأكبر ولكن على ضخامة في الحجم والسعة، وأن لكل ما في العالم الأكبر شبيهاً في العالم الأصغر ولكن على قلة في الحجم والسعة، ومن هنا فإنه يستطاع تحويل العالم الأصغر إلى عالم كبير وتحويل العالم الأكبر إلى صغير.

ونحن حين نستمع إلى هذا الكلام منقولاً من ملفات القرون الماضية نحس وكأننا نصغي إلى عالم فيزيائي في عصرنا الحاضر أو كأننا نقرأ كتاباً في علم الفيزياء الحديث ، وللإمام الصادق نظرية علمية هامة أخرى هي نظرية انقباض العالم وامتداده، ومؤداها أن العوالم الموجودة لا تبقى على حال دائم من الأحوال فهي تتسع تارة وتنقبض أخرى. الأمر الذي أكده العلم الحديث الذي توصل إلى أن العالم المحيط بمنظومتنا الشمسية يتمدد ويتسع من جهة ويتقلص وينقبض من جهة أخرى، وأن الاتساع والانقباض يحدثان شيئاً فشيئاً، ففي حين تتباعد الأجرام في جانب من العالم تتقارب في جانب آخر مكونة كتلاً كثيفة، وتنتهي المادة إلى موت حقيقي عندما تصطدم بالأجسام المظلمة الكثيفة وتفقد إلكتروناتها، وتغدو جزءاً من هذه الأجسام المظلمة

---

68 مجموعات من النجوم السواطع (مجرات) يتضاءل تلقاء حجمها وضيائها حجم الشمس وضياؤها ويطلق عليها اسم (كوزارز) وبعضها يبعد عن الأرض بمقدار تسعة مليارات من السنين الضوئية، وأن الضوء المنبعث من بعضها أكبر من ضوء الشمس بعشرة آلاف مليار مرة ، ينظر للمزيد : الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص301.

69 الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص301.

فتنتهي حركتها. أي أن المادة تنتهي من حيث الظاهر عندما يحدث التقاء بينها وبين الأجسام المظلمة وتبقى نواتها بعد اندماجها بغيرها مفتقرة إلى الكتروناتها، وتتراكم هذه الأجسام المظلمة وتتكاثف بدرجة تزيد بمئات آلاف المليارات عن المواد المتراكمة المعروفة لنا والموجودة في الأرض. وصفوة القول أن علمي الفيزياء والفلك المعاصرين يؤكدان نظرية الإمام الصادق المتعلقة بتعدد العوالم وكثرتها وبانقباضها وتمددها)[70] .

ـ مصدر علوم الإمام الصادق(ع) عند علماء الغرب:

أوردنا قبل قليل تساؤلاً طرحه علماء الغرب عن مصدر علوم الإمام الصادق(ع)، وأنه هل كان للإمام علم باطني (غيبي) أو لدني كما تقول الشيعة؟ وهل استنبط نظرياته بعلم الإمامة دون العلم البشري؟ فليس من المستغرب أن يتساءل وبتشكك الغربيون والشرقيون على حد سواء حول مصدر علم الإمام الصادق ، الذي تحدث عن أشياء لم تحصل الا بعد أكثر من عشرة قرون من الزمن . وإزاء ذلك اقتنع بعضهم ، مع انه راح يتساءل : وهل ان علمه كان لدنيا ـ باطنيا ـ أم انه مكتسب من أسرته ؟ وحار بعضهم الاخر حول حقيقة مصادر الإمام لينتهي إلى القول والإقرار بنباهته ونبوغه

وإذ يصعب عليهم الإقرار بهذا لأنه بعيد جداً عن أذهانهم ومناهجهم، فقد رأيناهم يردون علم الإمام الصادق إلى النبوغ والذكاء والعبقرية الفريدة تارة، وإلى ما تلقاه من العلوم المنقولة عن الأمم السابقة والتي كانت محل اهتمام وعناية مدرسة أبيه الإمام محمد الباقر(ع) تارة أخرى. إنهم يقولون: (وفي رأينا أنه من العسير التوصل إلى مثل هذه الحقائق العلمية دون مختبرات علمية عصرية، ولكن هذا هو ما تناهى إليه علم الصادق قبل اثني عشر قرناً، ولا غرو، فالعباقرة أقدر من سواهم على استنباط ما تعجز عنه العقول، لأن عيونهم تخترق الظلمات وترى ما لا يراه غيرهم من المبصرين. وثمة نظرية مؤداها أن المعارف والمعلومات كامنة في الشعور الباطني للناس جميعاً، ولكن هناك حجاباً يحول دون إدراك الشعور

---

70 الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص301.

الظـاهري لمـا هـو كـامن فـي الشـعور البـاطني غيـر المحـدود، فـإن استعصـى علـى الإنسـان العـادي أن ينتفـع بهـذه الـذخيرة المـدخرة فـي باطنه، فـإن العبـاقرة قـادرون علـى النفـاذ إلـى البـاطن واستنباط مـا هـو مدّخر فيه من معلومات ومعارف كامنة.

وقـد ذهـب الفيلسـوف الفرنسـي (هنـري برجسـون)[71] إلـى القـول بـأن الإنسان يكتشف كل مجهول بفهمه الخاص إذ كانت لديه اندفاعة حيـاة، وإن حظ العباقرة من هذه الاندفاعة أكبر من حظوظ سواهم. ويـرى أن الـذرى وجـدت منـذ بـدء الخليقـة واجتمعـت فيهـا جميـع المعلومـات المختلفة، فأحرى بخلايا الجسم الموجـودة فـي الكـائن الحـي أن تنطـوي على جميع المعلومات الخاصة بهذا العالم منذ بداية الخليقة وإلى يومنـا هـذا.) . وإذا كـان العلمـاء قـد أطلقـوا علـى الإحسـاس الـداخلي اسـم (الشعور الباطني أو الغيبي) فإن الفيلسوف برجسون قد سماه (اندفاعة الحياة) وكان يقول أن النوابغ يتميزون عن غيـرهم بـأن لهم حظـاً من اندفاعة الحياة تزيد على حظوظ غيرهم وأنهم أقدر مـن سواهم علـى الاستفادة من ذاكرة خلايا أجسامهم. أما الإمام الصادق فكـان يـرى بعلـم الإمامة، أما القائلون بالشعور الباطني غير المحدود فيقولون أنـه انتفـع بهـذا الشـعور، فـي حـين أن برجسـون يـرى أن الصـادق كـان يتمتـع باندفاعة قوية للحياة . وقد لا يكون هنـاك أي تعارض بـين هذه الآراء الثلاثة عن مصدر معلومات الإمـام الصـادق(ع)، فـإن العبقريـة والنبـوغ المـؤديين إلـى القـدرة علـى الاستمداد مـن الشـعور الـداخلي أو التمتـع باندفاعة قوية للحياة وبالتـالي الاستفادة مـن ذاكـرة خلايـا أجسـامهم، لا يمكـن أن يكونـا كـافيين لنفـي الاسـتفادة كـذلك مـن علـم الإمامـة أو مـا

71 هنري برغسون (Henri Bergson) (18 أكتوبر 4 - 1859 يناير1941) ، فيلسوف فرنسي .حصل على جائزة نوبل للآداب عام1927 .يعتبر من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعا وعميقا فقد اذاع لونا من التفكير وأسلوبا من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات ولقد حاول أن ينفذ القيم التي اطاحها المذهب المادي، ويؤكد ايمانا لا يتزعزع بالروح. حظي ابان حياته بشهرة واسعة الانتشار في فرنسا تؤثر في دوائر مختلفة: فلسفية ودينية وادبية حدث له العكس تماما بعد وفاته إذ حدث انصراف تام أو شبه تام عن فلسفته حتى صارت تقبع في ظلال النسيان ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم خصوصا وقد اكتسحتها الوجودية تماما https://ar.wikipedia.org/wiki .

نسميه العلم اللدني خصوصاً بعد ثبوت هذا العلم لمن شاء الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والأولياء[72] . وقد قال تعالى: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[73].

وكذلك فإن العلم اللدني لا ينفي الاستفادة من الشعور الباطني أو من ذاكرة خلايا الجسم. ويبقى السبق للإمام الصادق (ع) في كافة هذه العلوم ، فمنذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري - القرن السابع الميلادي - أذكت فتيل النهضة العلمية في القرنين التاسع عشر والعشرين، بل وعني علماء الغرب بعلم الإمام (ع) الذي تمتع بنبوغ متميز لم يسبقه سابق قبله بألف عام ولم يلحقه لاحق بعده خلال ألف عام[74].

من مرتقيات الإمام الصادق (ع) :-

- الإمام الصادق والاجتهاد الفقهي :

ما ميز المذهب الشيعي عن بقية المذاهب الإسلامية الأخرى هو الاجتهاد والتعاطِ مع النص بحيث يتواءم وما يطرأ على الحياة من متغيرات ، وعدم الإبقاء على القديم بحذافيره بقدر ما يمكن المحافظة على الأصالة وعلى الحداثة في وقت لا يفقد النص معناه او قيمته ، وبالتالي تمكن المشرع من فتح آفاق جديدة لم تلتفت إليها المذاهب الأخرى ، بمعنى أبقت على الانغلاق وهذا ما تسبب في عزوف الكثير الدخول إلى الإسلام بعدما اصطدموا بهذه العقبة التي تعيق مسايرة الواقع بوصفه من المتغيرات وليس من الثوابت . وتشير الروايات المدونة إلى أن من أهداف الإمام الصادق (ع) الكبرى التي كان قد خطط لها في مدرسته فضلا عما تضمنته تلك المدرسة من منجزات

---

[72] ينظر : محمد حسين الحسيني ، كتاب معرفة الأمام ، المجلد الثامن عشر ، القسم الرابع ، النظرات العلمية للامام الصادق (ع) ، بيروت ، دت .

74 الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص313-316؛ وللمزيد ينظر : مقال منشور في مجلة النبأ العدد 53 شوال 1421/كانون الثاني 2001 . متاح على الموقع : https://annabaa.org/nba53/index.htm

كثيرة ، هو تنشيط حركة الاجتهاد الفقهي الخاص الى جانب التفقه في الدين بشكل عام . ويمكن ملاحظة هذا النهج من تأصيل منهج الاجتهاد الفقهي واستنباط أحكام الشريعة في الرسائل العلمية التي دونها أصحابه بما يتعلق بالفقه والحديث ، اعتمادا على نمطية مدرسة أهل البيت لتكون من ثم أساسا للفقه والإفتاء دون الرأي والاستحسان . وبهذا السياق قال حديثه المشهور (ع) : حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل .))[75].

وتأكيدا على أفضلية الاجتهاد واستحسانه قال عليه السلام : ((إنا لو كنا نفتي الناس برأينا ، لكنا من الهالكين ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله (ص) وأصول علم عندنا نتوارثها كابر عن كابر ، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم .))[76] . وقد تمكن (ع) من تعليم طلبته أصول الاستنباط وفنه موضحا لهم قواعده ومناهجه إلى جانب بيان آلية التعامل مع الأحاديث المدونة في عموم موسوعات الحديث وأصوله ، فضلا عن تعليمهم كيفية التعامل مع الأحاديث المتعارضة ولا سيما منها المتعارضة مع القرآن الكريم . وبهذا الشأن يقول (ع) : ((ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف))[77] . وقال أيضا (ع) ((إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه))[78].

ـ الإمام الصادق والتنمية البشرية[79] :

75أصول الكافي / 53/1
76 بصائر الدرجات : 300.
77 الوسائل 78/18 .
78 المصدر نفسه : ص80 .
79 هي عمليّة زيادة الخيارات المتوفّرة للأفراد، وتشمل ثلاثة خيارات رئيسيّة، وهي توفير حياة صحيّة وبعيدة عن الأمراض، وزيادة انتشار المعرفة، وتوفير الموارد التي تُساهم في وصول الأفراد إلى مستوىً حياتيّ لائق، كما تُعرَّف التنمية البشريّة بأنّها العمليّة التي تهدف إلى زيادة كميّة الخيارات المتاحة للنّاس وحجمها؛ عن طريق زيادة المهارات والمُؤهّلات البشريّة. مريبعي سوسن (2012 - 2013)، التنمية البشريّة في الجزائر-الواقع والأفاق -، الجزائر: جامعة منتوري، ص18 وما بعدها .

لقد تعاطَ الإمام مع كل المستويات وترفع من أن ينوء بنفسه بركن منزو بحجة تفوقه في الأصل والعلم والنسب وهذا إطلاقا لم يحصل ، بل انصهر في بوتقة المجتمع وتعاط مع أدنى المستويات فيه ، لا لشيء سوى انه يعد هؤلاء بشر ، وأنهم لا يختلفون عن غيرهم ، ويبقى الطوق الإنساني هو الذي يجب إن تحتكم إليه التعاملات بين البشر . ومن هذا المنطلق افتقرت المصادر المريدة للإمام أو الحاقدة عليه ، ولو من إشارة تدلل على انه كان يأنف من الاختلاط بتلك المستويات البائسة او المتردية او المنبوذة او المتطرفة حتى ! .

ومن اجل ترصين ما نذهب إليه فقد آثرنا أن نقف عند محطات تاريخية شهدت بجلاء ما تجلى من خُلق الإمام في التعاطي مع هذه الشريحة ، كما هو الحال في لقائه مع عبد الكريم بن أبي العوجاء ، وهذا الرجل زنديقا مغتر[80]وهو من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد ، وقدم مكة متمردا وإنكارا على من يحج ، وكان العلماء يكرهون مجالسته ومسائلته لخبث لسانه وفساد ضميره وكان معارضا للمنظومة الدينية بكل مفرداتها[81] ، ومع كل ذلك ، فأن الإمام الصادق (عليه السلام) لم ييأس منه ولم يحبط أو يأنف من مستوى خبثه وحديثه المتطرف . ومع انه خاطب الإمام الصادق (ع) بقوله ((يا أبا عبد الله ... الى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر ، وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب والمدر ، وتهرولون حوله هرولة البعير أذا نفر ، إن مَنْ فكر في هذا وقدَّر ، عَلِمَ أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نَظَرٍ ، فَقُلْ فأنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أُسهُّ وتَمامُه))[82] .

وأمام هذا التجاوز والتمادي في غمط حق الإمام والتهجم عليه وآبائه الاشراف ، فأن الإمام لم يجزع ولم يحبط منه أو ييأس ، بل وجدناه متعاطيا معه أيمَ تعاط ، فاسحا له باب الحوار ، منفتحا لما يدلي ويقول ، متسائلا مرة ومنصتا غيرها كثير !!. وفوق ذلك راح ابن

80أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) : لسان الميزان ، ج4 ، المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1390هـ /1971م ، ص51 .

81 الكافي : 4/ 179ح1 .

82 المصدر نفسه ، ص197-180

حنيفة يردد ويقول :((وما يعلم جعفر بن محمد أنا أعلم منه أنا لقيت الرجال وسمعت من أفواههم ، وجعفر ابن محمد أخذ العلم من الكتب))[83] .

ويقول الراوي في ذات مرة وبينما كان الإمام بمعية جماعة يتحدثون ويستمعون للإمام ، طرق أبو حنيفة الباب وحاول إن يجلس معهم بيد إن الإمام ولمرات عدة لم يعطه الأذن بالجلوس وراح ينشغل بالدرس والالتفات إلى جماعته ، فما كان من أبو حنيفة إلا إن يجلس من دون أذن الإمام ، وحين علم الإمام بجلوسه التفت إليه فقال : أين ابو حنيفة ؟ فقيل : هو ذا أصلحك الله ، فقال : فقيه أهل العراق ؟ قال : نعم ، قال (ع) بما تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسنة نبيه ، قال (ع) يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته ، وتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال :نعم ، قال (ع): يا أبا حنيفة لقد أدعيت علماً ، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أُنزل عليهم ، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا (ص) ما ورثك الله من كتابه حرفا ؛ فأن كنت كما تقول ـ ولست كما تقول ـ فأخبرني عن قول الله عز وجل (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) أين ذلك من الأرض ؟ قال : أحسبه ما بين مكة والمدينة ، فالتفت أبو عبد الله (ع) الى أصحابه فقال : تعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة فتؤخذ أموالهم ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون ؟ قالوا نعم قال : فسكت أبو حنيفة ، فقال (ع) : يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله عز وجل : (ومن دخله كان آمنا فيها ؟ قال : فسكت ، ثم قال له يا أبا حنيفة ، إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله ولم تأت به الآثار والسنة ، كيف تصنع ؟ فقال أصلحك الله : أقيس وأعمل فيه برأيي ! قال (ع) يا أبا حنيفة :أن أول من قاس إبليس الملعون ؛ قاس على ربنا تبارك وتعالى ، : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فسكت أبو حنيفة ، فقال (ع) يا أبا حنيفة أيما أنجس البول أو الجنابة ؟ فقال البول ، فقال : فما بال الناس يغتسلون من الجنابة ولا يغتسلون من البول ؟ فسكت وتراجع[84].

---

83 الصدوق : الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت 381هـ) ، الجزء: ١ ، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية قسم الفقه تحقيق: تقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم الطبعة: سنة الطبع: ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م المطبعة: الناشر: ردمك .

84 طب الأئمة : ص88 .

في علم الكيمياء :-

فضلا عما أشرنا اليه في الصفحات السابقة عن موضوعة باع الامام في مجال الكيمياء نشير هنا الى أن عناية الإمام التي وقفنا عندها بشأن مختلف العلوم ،انسحبت كذلك على علم الكيمياء من خلال ما نقل عنه بعلمه عن خواص الأشياء ، على انه كان قد درّس مادة الكيمياء في مدرسته . مشيرا الى اهم من تخرج عليه ممن صار عالما في مجال تخصصه من أمثال "جابر بن حيان" الذي صار فيما بعد من علماء علم الكيمياء المحترمون ، لدرجة أن قال عنه الأستاذ " برتلو"[85] أن أسم جابر ينزل مع الكيمياء منزلة أسم أرسطو في تأريخ المنطق "[86].

أما عن براعته في علم الكيمياء ، فتشير بعض المصادر أنها متأتية عن اتصاله بالإمام الصادق في الكوفة حيث تلقى عنه الكيمياء ، وقد لازمه ملازمة الصديق لصديقه[87] . فيما يؤكد المستشرق هولميار[88] ، أن جابر هو تلميذ الإمام الصادق ، موضحا أن الغرض من تلك الصداقة هو لترصين الروح العلمية والعقيدية عند الناس . ومن الواضح أن علم الكيمياء كان وما يزال في طليعة مفردات العلم التجريبي الذي أبدع فيه الإمام الصادق (ع) وكان له في ذلك سبقا علميا ، كما مر بنا .

85مرسِلان بيير اوجين برتلو) Marcelin Pierre Eugéne Berthelot . 25 اكتوبر 1827 - 18 مارس 1907) كان كيميائياً وسياسياً فرنسياً مشهور في الكيمياء الحرارية بسبب مبدأ تومسن- برتلو .قام بتصنيع عدة مركبات عضوية من مواد غير عضوية وبذلك دحض بقوة نظرية المذهب الحيوي .vitalism ويعتبر واحد من أعظم الكيميائيين في كل العصور .متاح على الموقع :https://www.marefa.org.

86 نقلا عن زكي نجيب محمود : جابر بن حيان ، ص24 .

87الفياض ، محمد محمد : جابر بن حيان وخلفاؤه ، ص37 .

88 استاذ الكيمياء بكلية كلفتون بانجلترا الذي يعد جابر بن حيان أول مبدع في علم الكيمياء على اسس علمية صحيحة ، لأنه جعل الميزان أساس التجريب ، كما يعتبر العلامة جابر بن حيان بالنسبة للغرب ، بمثابة الاستاذ الاول لعلم الكيمياء في العصور الوسطى عن جدارة وكفاءة واستحقاق . ينظر للمزيد خيرة شريفي : الترجمة في الاندلس وأثرها على الحضارة الاوربية (500- 900هـ)(1100مـ 1500م) عن اللغة العربية أنموذجا ، رسالة ماجستير في التاريخ السياسي ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة الطاهرمولاي سعيدة ، 2017، ص48.

الأوكسجين، وبرهن على أثره الحيوي الفعّال في التنفس وفي حياة الإنسان وفي عمليات الاحتراق. وهكذا (قوض الإمام الصادق نظرية أرسطو من أساسها بعدما عاشت قرابة ألف سنة، وسبق عصر العلم والاكتشافات الحديثة بألف سنة ... على ان تجربة ذوبان الحديد بفعل الأوكسجين التي اضطلع بها الإمام الصادق في ذلك العصر، لم يوفق لافوازيه للقيام بها بعده بألف عام)[89]

أما نظرية الإمام الصادق الخاصة بنشأة الكون، فلا تختلف عن النظرية العصرية الخاصة بالذرّة وأصل الكون، حيث أشار الإمام إلى وجود قطبين متضادين، وهو ما يماثل القوتين الإيجابية والسلبية داخل الذرّة، ومنهما تتألف الذرة، وتتولد المادة من الذرة. وهذه النظرية العلمية الدقيقة تتفق مع نظرية علماء الفيزياء في هذا القرن، بل إن العلماء المعاصرين لم يضيفوا إليها إضافة جديدة ذات بال. وقد ظهرت أهمية هذه النظرية في القرن السابع عشر الميلادي عندما أثبت علم الفيزياء وجود هذين القطبين المتضادين، وإن ما نعرفه اليوم من علوم الذرة والكهرباء والإلكترونيات قد قطع بسلامة هذه النظرية وأكد وجود القطبين المتضادين في المغناطيس وفي الكهرباء وفي نواة الذرة وفي غير ذلك من ميادين العلوم . لقد تعرض الإمام الصادق في علم الفيزياء لمسائل لم يتعرض لها أحد قبله ولا بعده إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ومن ذلك مثلاً تصنيفه الأجسام الصلبة كدرة وأخرى صقيلة شفافة إذ قال: (كل جسم صلب جامد يكون كدراً، وكل جسم صلب دافع يكون لماعاً وشفافاً). وفي الرد على سؤال: ما الذي يجذب؟ قال: (إن الحرارة هي التي تجذب) وقد أصبحت هذه النظرية في يومنا الحاضر قانوناً علمياً في الكهرباء والفيزياء[90].

ومن المعروف أن قوانين الفيزياء الحديثة تقضي بأن كل جسم كدر تصدر عنه أمواج إلكترونية وأشعة حرارية فيكون موصلاً جيداً للحرارة وللأمواج، وأن الأجسام التي لا تنتقل منها الحرارة بسهولة، أي غير الموصلة للحرارة الجاذبة لها، وغير الناقلة للأمواج

89النبأ (مجلة) ع 53، ك2001/2 ، ص20 متاح على الموقع : https://annabaa.org/arabic/ahlalbayt/7309

9090 نقلا عن الصغير ، محمد حسين ، الامام جعفر الصادق ، زعيم مدرسة اهل البيت ، النجف الاشرف ، 2012، ص436 .

الإلكترونية تعتبر أجساماً عائقة وتكون شفافة لماعة . وبعبارة أخرى، إن الأجسام الكدرية كالحديد تنقل الأمواج الكهرومغنطيزية وتنقل الحرارة وتجذب ، في حين أن الأجسام الشفافة كالبلور والألماس لا توصل الحرارة - أو توصلها ببطء - وتحول دون انتقال الأمواج الكهرطيسية فلا تجذب وتعتبر أجساماً عائقة. إن نظرية الجاذبية عند الإمام لا تقل أهميتها عن نظريته القائلة بوجود قطبين متضادين، وهي تطابق قوانين الفيزياء الحديثة من حيث تعليل أسباب كدر الأجسام الصلبة أو صفائها. ولا ريب في أن العقلية التي اكتشفت الأسباب الكامنة وراء صفاء الأجسام الصلبة أو كدرها منذ اثني عشر قرناً هي عقلية سبقت جميع معاصريها. وليس من الغلوّ في شيء القول بأنها عقلية عبقرية فريدة في ميادين العلوم. ولم ينته علم الإمام الصادق عند هذه النظرية وما أوردنا له من النظريات سواها، بل إن له في العلوم نظريات أخرى لا تقل أهمية عما أوردنا ومنها تفصيله المتعلق بخلق الإنسان من تراب، ذلك التفصيل الذي لم يسبقه إليه أحد قبله. وذلك أن جميع المسلمين يقولون بخلق الإنسان من تراب تبعاً للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. لكن الإمام يفصل القول موضحاً (إن جسم الإنسان يتألف من نفس العناصر الموجودة في الأرض ولكن بنسب متفاوتة، فهناك عناصر توجد في جسم الإنسان بنسبة اكبر من نسبة وجودها في الأرض، وهناك عناصر أخرى توجد بنسبة أقل منها ...وهناك أربعة أشياء توجد في جسم الإنسان بصورة أكبر من سواها، وثمانية أشياء تأتي في مرحلة ثانية وثمانية أشياء هي أقل مما في القسمين الأولين)[91] . ومن النظريات التي قال بها الإمام الصادق، وكشفت عن نبوغه العلمي وإحاطته الواسعة بدقائق العلوم، نظريته المتعلقة بانتقال بعض الأمراض عن طريق الضوء من المريض إلى الشخص السليم[92] .

في مجـــالات علميـــة أخـــرى

أ- الزمان والمكان عند الإمام الصادق (ع)

[91] الصغير المصدر السابق ، ص435

[92] المصدر نفسه ، ص436 وما بعدها .

كان من رأي بعض فلاسفة اليونان أن الزمن ليس له حقيقة أو وجود خارجي لا بصورة ذاتية ولا بصورة تبعية، فهو لا يعدو عن كونه فاصلاً بين حركتين، وأن الإنسان أو أي كائن حي ذي شعور لا يحس بهذه الفاصلة حتى وإن تابع سير الحركة.

في حين رأى الآخر أن للزمن وجوداً ذاتياً، وقد صنف هؤلاء الزمن إلى نوعين: الزمن المتحرك (السائر) وهو يتألف من ذرات متحركة تنتقل من جانب إلى جانب، والزمن الثابت الذي لا تتحرك ذراته وأجزاؤه، ومثل هذا الزمن لا ينتقل من مكان إلى مكان، ولا يفصل بين حركة وحركة.

وفي رأي فلاسفة الإغريق القدامى أن الزمن الثابت (زمن الأبدية) هو زمن الآلهة، في حين أن الزمن السائر (المتحرك) هو زمن الكائنات الحية ومنها الإنسان، ولو استطعنا وقف حركة الزمن، ووقف التغير في شكل الكائنات الحية لرفعناها إلى مرتبة الآلهة، لأنها إذ ذاك ستتمتع بالزمن الثابت وهو أبدي . أما فلاسفة أوربا في القرون المتأخرة وحتى القرن العشرين فمنهم من أنكر وجود الزمن إنكاراً باتاً قائلين أن الموجود هو المكان، ومنهم من أنكر المكان قائلاً أنه يوجد تابعاً ولا وجود له في حد ذاته، وأنه حيثما وجدت المادة وجد المكان وإلا فلا. فيما قال العالم الروسي المعاصر (إسحاق عظيموف)[93] إن المكان هو المادة وإشعاعها، وأن ما نراه ونحس به هو المادة أو أمواجها وأشعتها وإن إحساس البشر بالمكان سببه الأشعة المنبعثة من المادة . ومع ذلك ، فثمة رجلا جاء قبل عظيموف باثني عشر قرناً ونصف القرن - هو الإمام الصادق - ساق نظريات حول الزمان

93 إسحق عظيموف أو إسحاق أسيموف أو إسحاق أزيموف (2- يناير 6 - 1920 أبريل Asimov 1992)مؤلف أمريكي روسي المولد وكيميائي حيوي في تخصصه الأصلي. كان من أكثر الأدباء غزارة في الكتابة، إذ له أكثر من 500 كتاب، إضافة لحوالي 90 ألف رسالة وبطاقة. اشتهر بكتاباته في روايات الخيال العلمي، حيث لاقت رواياته نجاحا وانتشارا كبيرين. وقد تركت مؤلفاته أثرا كبيرا في سينما الخيال العلمي وحتى في علوم الرجل الآلي أو ما يسمى بالروبوتيك، عن طريق ما يعرف بالقوانين الثلاثة للروبوتات .كما اشتهر بسلسلة الأساس التي فازت عام 1966 بجائزة هوغو لأحسن سلسلة خيال علمي لكلّ الأوقات
ttps://ar.wikipedia.org/wiki/%

والمكان تتفق مع نظريات العلماء المعاصرين، وكانت مصاغة في قالب سهل المأتى، واضح المعنى خلواً من المصطلحات والمعادلات العلمية الحديثة ، وهو أمر نفتخر به ، بل وانه حافز للاجيال القادمة وأقرا ران الدولة لا تبنى إلا بجهود الوطنيين والعلماء المخلصين ومن تبعهم ممن هم على شاكلتهم . (ففي رأي الصادق أن الزمان غير موجود بذاته ولكنه يكتسب واقعيته وأثره من شعورنا وإحساسنا، وأن الزمان هو حد فاصل بين واقعتين أو وحدتين. وهو يرى أن الليل والنهار ليسا من أسباب تشخيص الزمان ومعرفته، وإنما هما حقيقتان مستقلتان عن الزمان، وليس لهما طول ثابت، فالليل يقصر في الصيف ويطول في الشتاء والنهار على عكسه، ويتعادلان أحياناً. وفي رأي الصادق أيضاً أن للمكان وجوداً تبعياً لا ذاتياً، وهو يتراءى لنا بالطول والعرض والارتفاع، ولكن وجوده التبعي يختلف باختلاف مراحل العمر. ومن ذلك مثلاً أن الطفل الذي يعيش في بيت صغير يرى بخياله وأحلامه أن فضاء البيت ساحة كبرى، ومتى بلغ هذا الطفل العشرين من عمره رأى هذه الدار مكاناً صغيراً جداً، وأدهشه أنه كان يراها واسعة رحيبة في الطفولة)[94].

الإمام الصادق في الكوفة :-

لربما يثار جدلا حول تواجد الإمام الصادق في مدينة الكوفة ، وقد يعزو البعض ممن يتصيد بالماء العكر أنه من فِعل شيعة أهل الكوفة لان وجود الإمام في مدينتهم يعني شيء كبير واعتبار ثمين . وإذا ما علمنا أن التوجه العقلاني في كتابة التاريخ يحتم الابتعاد عن السند العاطفي والغيبي ، ويشترط الروايات المسندة بأسانيد ووسائط موثوقة ، ومن هذا المنطلق فلا بد من الإشارة إلى أن هناك جملة إشارات تضمنتها وأوردتها مصادر رصينة ، تقول قولا يبعد الشك ويقر الواقع ويؤكد على وجود الإمام الصادق لسنتين متتاليتين في الكوفة وكان من مخرجات ذلك ، ظهور مدرسة الكوفة أو مدرسة الامام الصادق . ولزيادة التأكيد ننوه بما أورده الميرزا النوري في خاتمة المستدرك أذ قال :

94الصغير ، محمد حسين : المصدر السابق ، ص440

((قال شيخنا الكشي في رجاله، في ترجمة إبراهيم بن عبد الحميد الصنعاني قال نصر بن الصباح: إبراهيم يروي عن أبي الحسن موسى، وعن الرضا، وعن أبي جعفر عليهم السلام، وهو واقف على أبي الحسن عليه السلام، وكان يجلس في المسجد ويقول. أخبرني أبو إسحاق كذا، وفعل أبو إسحاق كذا - يعني أبا عبد الله عليه السلام - كما كان غيره يقول: حدثني الصادق عليه السلام، وحدثني العالم، وحدثني الشيخ، وحدثني أبو عبد الله عليه السلام، وكان في مسجد الكوفة خلق كثير من أصحابنا، فكل واحد منهم يكني عن أبي عبد الله عليه السلام باسم))[95]. والى جانب ذلك ، فقد ساق لنا إبراهيم بن محمد الثقفي روايات أسست لهذا الأمر ، بل وأكدت بدلائل مشهوده على أن الإمام الصادق وفي أثناء تواجده في الكوفة كان قد اعتاد على زيارة جده أمير المؤمنين (عليه السلام) . وهذا ما أكده وأشار إليه صفوان الجمال حين قال : حملت جعفر بن محمد عليهما السلام فلما انتهيت إلى النجف قال: يا صفوان: تياسر حتى نجوز الحيرة فنأتي القائم. قال: فبلغت الموضع الذي وصف لي فنزل فتوضأ ثم تقدم هو وعبد الله بن الحسن فصليا عند قبر فلما فرغا قلت: جعلت فداك أي موضع هذا القبر ؟ - قال هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام وهو القبر الذي يأتيه الناس هناك[96] .

وهناك العشرات ولربما تصل المئات من الأحاديث التي تتحدث وبصدق عن صدق وحقيقة وجود الإمام الصادق في مدينة الكوفة ، ولعل ما اشرنا أليه لا يعدو ان تكون اشارة الى تلك الحقيقة . وزيادة في رصانة ما تذهب اليه تلك الروايات ، فثمة توثيق أخر يتعدى التدوين لهذه الحادثة من خلال ما أشار أليه الشيخ الكليني في كتابه إذ قال :

قال: الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن بعض أصحابه، عن أبي بصير قال: كان لي جار يتبع السلطان فأصاب مالا، فأعد قيانا وكان يجمع الجميع إليه و يشرب المسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرة، فلم ينته فلما أن ألححت عليه فقال لي: يا هذا أنا رجل مبتلى وأنت رجل معافى، فلو عرضتني لصاحبك رجوت أن ينقذني الله بك،

---

95 النوري ج 1 ص 284 .

96 الثقفي : إبراهيم بن محمد ، ج2 ، ص850 .

فوقع ذلك له في قلبي فلما صرت إلى أبي عبد الله عليه السلام ذكرت له حاله فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة، فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى، فاحتبسته عندي حتى خلا منزلي ثم قلت له: يا هذا إني ذكرتك لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنة، قال: فبكى ثم قال لي: الله لقد قال لك أبو عبد الله هذا ؟ قال: فحلفت له أنه قد قال لي ما قلت، فقال لي: حسبك[97]

كما يقال : من أحبَّ جماعة أشاد فيهم ، وامتن لهم ، ووافق هواهم ، وسأل عنهم ، وأطرى على ذكرهم . وهذا ما تلمسناه عند الإمام جعفر الصادق (ع) إزاء مدينة الكوفة المقدسة وأهلها فقد قال في وصفه هذه المدينة : ((هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا... هي تربة تحبنا ونحبها ... اللهم ارمي من رماها وعادي من عاداها))98. وأكثر من ذلك فهو يكرس انتمائه وتعلقه بهذه الكوفة وأهلها بقوله : ((وأهل الكوفة أوتادنا وأهل هذا السواد منا حنف الإمام حبه وتعلقه بهذه المدينة ، ولا سيما أنها كانت حاضنة دولة جده أمير المؤمنين (ع) ، وحين دخل عليه الأمير الأموي عبد الله بن الوليد بجمع من الناس من أهل العراق ممن كان ناقما على العلويين ، فوجه سؤاله إلى الإمام الصادق (ع) قائلا له : من أنتم ؟ فقال الإمام : نحن من أهل الكوفة . وقال : ما من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة لاسيما هذه العصابة ، إن الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وابغضنا الناس وبايعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس ، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا)99 .

ويتواصل الإمام في سوقه للأقوال والأحاديث التي تؤسس للشراكة بينه وبين مدينة الكوفة وأهلها بقوله (ع) : ان الله عرض ولايتنا على

---

97 الكافي : ج 1 ص 474 .

98بحار الانوار – العلامة المجلسي ج57 ص210 .

99 الطوسي : شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وابنه أبي علي الحسن بن محمد بن الحسن أبي جعفر محمد بن الحسن : كتاب الأمالي .

أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة[100] ، مؤكدا أن الله تعالى هدى أهل الكوفة لأمر جهله الناس[101] .

أما عن القضية الكبرى في الضمير الإنساني ، فهو حادث استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ، ولا شك أن موقف الإمام الصادق من قضية استشهاد الإمام الحسين (ع) لا يمكن اختزاله بموقف أو تنويه أو إشارة ، فللشهيد مكانته العليا وانه يسمو فوق كل شيء . فحين سئل الإمام الصادق (ع) عن صوم يوم تاسوعاء قال: تاسعا يومٌ حوصِرَ فيه الحسين(ع) وأصحابه بكربلاء ، واجتمع عليه خيلُ أهلِ الشام وأناخوا عليه ، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمده أهل العراق بالمناصرين[102] . وفي أمالي الطوسي (667)عن أبي عبد الله(ع) قال : سألته عن صوم يوم عاشورا فقال) ذاك يومُ قُتِلَ الحسين(ع) فان كنت شامتا فصم . ثم قال (إن لآل أمية لعنهم الله ومن أعانهم على قتل الحسين من أهل الشام نذرا إن قتل الحسين عليه السلام وسلِم من خرج إلى الحسين ، وصارت الخلافة في آل أبي سفيان أن يتخذوا ذلك اليوم عيدا لهم يصومون فيه شكرا ، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم في الناس ، واقتدى بهم الناس جميعا لذلك ، فلذلك يصومونه ويدخلون على عوائلهم وأهاليهم الفرح في ذلك اليوم)103.

مدرسة الإمام جعفر الصادق العلمية :

يجب ان لا يغيب عن البال ، أن تسمية مدرسة تحت عنوان مدينة او شخص ، إنما هي دلالة قطعية على أثر تلك المؤسسة العلمية في إثراء الشعوب بالتراث العالمي والعمل على صيانته من التضييع والإهمال ، على أن المنجز الهام لتلك المدرسة ، متجسد بعطاء مؤسسها وإتباعه من المفكرين والمبدعين . وما زلنا بصدد الحديث عن مدرسة الإمام الصادق ، فلا بد أذن أن نعرج على مآلها ورجالها

100البحار 209/60
101المصدر نفسه : 210 .
102الأمالي : المصدر السابق ، ص54.
103الكافي (ج 4 / 147)

وشخصيتها العلمية وما تقدمت من رؤى وأفكار عكست مضمونها وفحواها . والذي أدركنا وتجسدت خطوطه ماثلة أمام ناظرينا ، أن تلك المدرسة العريقة انبثقت من مسجد الكوفة ، حيث كان هذا المسجد منبع شعاع العلم وشيوعه .
ولرب زائر يزور باحة مسجد الكوفة ، وبالذات إذا ما وقف عند مقام الإمام جعفر الصادق (ع) ، فأن هذا المقام يحكي قصص العلم والعلماء والتلامذة والطلاب ، وكان هذا الوقت قد شهد زوال دولة بني أمية ومجي العباسيين ، فكانت الدولة العباسية في بداية تشكيلها ، وشغلها الشاغل إقرار الأمن وتثبيت سلطة الخليفة ، الأمر الذي أوحى للإمام الصادق أن يبدأ بنشر علوم أهل البيت (ع) ، محاولة منه لإعادة وتفعيل مدرسته العلمية التي بذلت الدولة الأموية كل جهد في سبيل القضاء عليها وطمرها .
ومن الملفت للنظر ، وكما يقال " ربَّ ضارة نافعة " فأن الخليفة العباسي وبعد أن تأكد له استحالة وقف سريان مفعول الإمام في الناس في بغداد ، ولأنه يخشى الرأي العام إذا ما أقدم على قتل الإمام ، فأنه جعل قراره النفي بعيد عن بلاده ، فكان أن أمر بنفيه إلى الكوفة ووضع تحت الإقامة الجبرية . فكان هذا الجو الذي دخله الإمام ، قد أومأ له بالعمل بعيدا عن عيون الخلافة والإعلان عن مدرسته العلمية التي ضمت بين دفتيها الآلاف من التلاميذ والرواة والتابعين[104] .
وكان من مخرجات هذه المدرسة العلمية ، هو بروز ما عرف بعلم الفقه والذي شهد شيوعا في مدرسة الفقه الشيعي التي تحولت في حينه من المدينة الى الكوفة ، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من بلورة حياة فقهية تتعاط ومتطلبات الحياة اليومية ، لا سيما وان الكوفة وقتذاك كانت تمثل مركزا اقتصاديا وسياسيا ، الامر الذي هيأ لهذه المدينة ان تمارس مركزا تجاريا وتعليميا ، حيث قصدته العديد من البعثات التجارية والعلمية فكان ذلك بمثابة مشروع لجذب السكان أليها ، بل وكان هذا المسار للقبائل وتبرير للهجرة إليها[105] .

104للمزيد ينظر : ألمجلسي : بحار الأنوار ، ج46 .
105البراقي : تاريخ الكوفة ، ص47.

وكما أسلفنا الذكر : ربَّ ضارة نافعة : فأن التحرك السكاني باتجاه التجارة ، صحيح أنه أدى الى تغيرات ديموغرافية ، الى جانب أمتلاء القرى والارياف بالمهاجرين ، فكان من المحتمل أن يربك هذا التفاعل والتجمهر في مناطق شاء القدر أن ينشغل حكامها بترف الحصول على السلطة ، لا سيما وان السلطة الأموية انتهت لتحل محلها السلطة العباسية ، فانشغلت بأمور تثبيت كيانها واستتباب أمنها ، ألأمر الذي أوجد فسحة من فراغ وسكون ، استغله الإمام (ع) في التأسيس لمدرسته التي كانت بمثابة محورا لكل الثقافات العالمية .

وما يجب أن يقال ، أن ما امتلكه الإمام الصادق من ثقة بما هو عليه وما يدعو له صحبه ومريدوه ، قد نوه به أبن سعد بعد أن ترجم للمئات من التابعيين ممن سكنوا الكوفة ، فأن الإمام الصادق كان مدركا لكل التحديات التي كان من الممكن أن يواجهها بكل شدة وحنكة وصرامة[106] .

ولما كان قد شد العزم على مواجهة هذا التحدي ، فقد أشاع الشيء الصحيح عما يروم تكوينه ، وهو مجتمع محصن يتبع الله ورسوله في حياته العامة ، وينوء بنفسه في ركن بعيد من البيت . فكان ما يمارسه من فعاليات رائعة في نشر المذهب الشيعي ، أن وجدت ضالتها في الانتشار والتأقلم مع كل المستجدات الناتجة عن نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية ، فأخذ المذهب الشيعي بالاتساع لا سيما وان هذا الانتشار السريع لم تصاحبه معارضة شديدة تلفت نظر الدولة العباسية إليه ، حتى صار مسجد الكوفة محورا لتجمعات شيعية وحلقات دراسية تدرس الفقه الشيعي ، بحيث زاد عدد الحلقات على التسعمائة حلقة ولكل حلقة شيخ جليل يقوم بالدرس والتصويب . ومن مزيات وخاصية مدرسة الكوفة ، أنها عنيت بتراجم الرجال إلى جانب اشتهارها بالفقه والحديث ، وكان من أهم من برز فيها محمد بن مسلم الكوفي والحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي المتوفى عام 333هـ . وفضلا عن ذلك ، فقد برزت بيوتات علمية في الكوفة مثلت

106طبقات ابن سعد / 7، المحقق: علي محمد عمر ; الناشر: مكتبة الخانجي، 1421 – 2001.

نبوغا في تلك المدرسة كما في "آل أعين" و" آل حيان التغلبي " وغيرهم الكثير .
وإذا ما راجعنا بروية منتج مدرسة الكوفة بما في ذلك ، تخصصها ورجالها وشيوخها الى جانب الوقوف على أهم ما صدر من كتب ودراسات عنيت بشكل أو بأخر بواقع مدينة الكوفة وأثرها العلمي والفكري في ارتقاء الدولة العربية الإسلامية وبالتالي تسيد الحضارة العربية الإسلامية طيلة مرحلة العصور الوسطى ، سندرك حينها أن هذه المدرسة تكون قد فاقت ما للمدارس العلمية الاخرى بما فيها مدرسة بغداد والمدينة ومدرسة اليمن ودمشق ، استنادا لتلك المعايير العلمية التي ميزتها ، ولا سيما تميزها الفقهي والبلاغي الى جانب تميزها بتدوين الحديث الذي لم يألفه المحدثين الشيعة قبل بروز هذه المدرسة ، بعد أن أدرك الإمام الصادق (ع) ضرورة المحافظة على النسق الرصين من رواية الحديث الشريف بعد إن تعرض للوضع والتغيير . ولعل من الأمور الهامة لتلك المدرسة ، هو ظهور ملامح الاجتهاد عند فقهاء الشيعة بيد انه لم يتخذ شكله النهائي ، إنما أخذ اسم "القياس والاستحسان " بعد إن حار البعض في كثرة تساؤلات الناس الوافدين على بيوت الفقهاء للبحث عن إجابات أفرزت في نفوسهم أمورا وإشكالات باتت وقتذاك تشكل جدلا محيرا ، بالأخص إن الكتاب الكريم لم يشر إليها ، بيد انه أشار في الآية القرآنية الكريمة " واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " بوصفه طريقا لحل تلك الإشكالات ، خوفا لئلا تتحول إلى إحباط لعدم وجود البدائل والحلول لها مع حصول المتغيرات المتسارعة في حياة الناس اليومية مما استدعى التجديد ومواكبة هذه المتغيرات ، فكان ذلك على الأرجح ممهدات لحصيلة الجهد المتنامي وصولا إلى خاصية الاجتهاد التي أختص بها المذهب الشيعي دون المذاهب الأخرى . والى ذلك ، فثمة ظاهرة سلبية كانت وقتذاك قائمة تمثلت بالدس في الحديث مما حدا بالرواة الاتصال بالأئمة (عليهم السلام) للوقوف على الصحيح منها فضلا عن وضعهم الآلية المثلى لنقل وتخليص التدوين من حالة الدس والتحريف ، وكان ديدن عمل مدرسة الكوفة قائما على هذا التصويب ، فبرز ما عرف بظاهرة (الأخبار العلاجية) في الأصول .

ويبدو واضحا إن هذه المدرسة الفقهية العريقة ، قد اتسعت وتنوعت في عطائها فكان من مخرجاتها ، ظهور المذاهب الفقهية والتي قام على أساسها التشريع ومحاكاة الفكر ، وقد ينوه البعض بأن ظهور هذه المذاهب أدى الى تشتيت الوحدة الفكرية في الإسلام بعد أن تعدد الآراء والأفكار والاجتهادات ، وتعددت معها الخطوط العامة لتلك المذاهب بحيث لم تلتقي بقدر ما كانت تتقاطع ولو مبدئيا . ونحن نختلف مع هذا الطرح ولا نتعارض مع القول الذي يريد أن يوضح إن هذا التمايز وبروز مثل تلك المذاهب كان عامل ضعف لا قوة ، كل شيء وارد وواقعي وقد أدى ذلك الى تشظي الفكر وتناثره بين الخطوط والتوجهات. ولكن الشيء الذي لربما لم يدركه البعض ممن يذهب إلى مذاهب متعددة ضيقة بحيث يشيح النظر عن زوايا ويركزه في زاوية واحدة ، فتأت أحكامه ضيقة غير شاملة وغير عاملة ، وبما هو مسلم به ، فأن الاختلاف في الفكر ، أي تجاذب الأفكار وتقاطعها بين المتحاورين سيؤدي بالنتيجة إلى ورود أفكار أخرى بوصفها مخرجات ايجابية لذلك الفكر المتجادل ، وحينها سيكون كما هو كان العديد من الأفكار والتوجهات ساقها أصحابها من المؤرخين والمفكرين والمعنيين بالدراسات الدينية ، لينتج من جراء ذلك التجاذب رؤى وأفكار تودع في أمهات الكتب والمصادر ، مما أوجد في التراث والفقه الإسلامي مجلدات لم تتسنى مع مرور الزمن ولم يقلل من قيمتها بل باتت مصادر لكل من سلك التدوين وكتابة الحديث . وتلك مزية من مزايا هذه المدرسة . وفضلا عن ذلك ، ونتيجة ما برز من اختلافات فقهية بين المذاهب وتسييس هذه الاختلافات ، فقد حرص القائمين على أمر الشيعة حينها الى الحيلولة دون تعرض أبناء المذهب ولا سيما منهم الفقهاء الى حالة من الاضطهاد بسبب آرائهم ، فلجئوا الى ظاهرة "التقية" ، ومع إن هذا السلوك الذي لا يمكن أن ندلوا بدلونا فيه ، لأسباب عدة منها أننا لم نعهد الظرف الذي كان يعيشه أصحاب المذهب ولا علم لنا بمستوى الشدة التي كان يتبعها الحكام ضد أتباع هذا المذهب لا سيما منهم من يفتي ويؤسس للمذهب ، فالناس أعداء ما جهلوا ! . صحيح إن الروايات التاريخية تنقل لنا عن مأساة ما كان في حينها ومعاناة الرواة والمحدثين ورجال الدين

وأتباع أهل البيت المقربين ، ممن كان يناهض او يعطي رأيه المناقض لرأي الحاكم . ومن ذلك فليس من الإنصاف أن نذهب الى مقاربة بين التقية وبين ما ذهب إليه البعض ممن أعطى أحكاما غير مستندة الى حقائق بقدر ما كانت تحمل هدفا مغرضا ، وكأنه في حلبة صراع وهو مغلوب ، ولا بد له من جرعة نشاط تسعفه .

والى ذلك ، فمن مزيات مدرسة الإمام الصادق الهامة ، هو وضع أسس وموازين خاصة بظاهرة الاجتهاد من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام ، بما أسس هذا الأمر لظهور خاصية الاستنباط .

أن مدرسة الإمام الصادق يمكن القول أنها كانت متجاوزة لعصرها فقد اعتمدت الدليل والنقد العلمي ، وتحليل الآراء وبيان صحتها من سقمها . ومن ذلك ، فأن هذه المدرسة الكبرى اشتملت على عدد كبير من الطلاب ممن درسوا بالمباشرة عند الإمام الصادق (عليه السلام)، وكان للأديب جوزيف ألهاشم[107] قول بهذا الخصوص إذ يقول فيها ((لم يكن الإمام الصادق (عليه السلام) صامتاً محايداً فأعرض عن الحرب كما اتهموه وعن إنقاذ أساس العقيدة والتشريع، لقد شنها حرباً بلا هوادة على الهراطقة والطغاة والملحدين وامتشق السلاح الأمضى في معمعة الانحراف الديني والخلقي، فأنشأ جيشه المظفر، جيش الأربعة آلاف طالب يعده حارساً أميناً للكيان الإسلامي، وجيلاً سياسياً صالحاً مهيئاً لتسلم مقاليد الدولة وصيانة حق الشعب في مواجهة الغوغائيين والانتهازيين)). إذاً فمدرسة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)كانت تمثل جيشاً فكرياً قارع التيارات الفكرية المنحرفة عن خط السماء من داخل المساحة الإسلامية وخارجها، فكان تلامذة هذه المدرسة حماة الدين وحفظة الرسالة حتى أوصلوها سليمة من التحريف، نقية من الشوائب إلى الأجيال التي تلتهم ونحن

107 الملقب باسم (زغلول الدامور 27 - 1925) (يناير 2018) هو شاعر لبناني من أشهر شعراء الزجل .ولد في بلدة البوشرية بقضاء المتنسنة .1925 والده مخائيل الهاشم من الدامور ووالدته سيسيليا جرجورة العيراني من عاريا .تلقى علومه في مدرسة جديدة المتن الكبرى التي كان يديرها الخوري الشاعر يوسف عون وكان من التلاميذ المجلين، وفي سن التاسعة تفتحت لديه موهبة الشعر فكان يفترش الأرض بين الصنوبر حاملًا قلمًا وورقة يدون عليها ما يتفتق له من أبيات يرددها حتى أصبح معلموه ورفاقه يقولون فيه» :هيدا الصبي ابن الداموري مزغلل وعم يكتب شعر«، ومن يومها عرف بلقب زغلول الدامور. توفي يوم السبت " 7ينظر جريدة (النهار) ، عدد يوم نيسان 2017.

نـرى اليـوم الحـوزات العلميـة الشـريفة فـي كـل بقـاع الـدنيا وبمختلـف مواقعهـا وظروفهـا هـي امتـداد عقائـدي وفكـري للمـنهج الـذي وضـع أسسـه وحـدد خطوطـه أئمـة أهل البيت (عليهم السلام أجمعين) حيث كثفوا جهودهم في أنشاء مدرسة علمية أصيلة تحفظ المسار الإسلامي مـن الانحـراف، وتقدم للأمـة أصـالة الإسـلام الـذي حمـل رسـالته جـدهم الرسـول الأكـرم (صـلى الله عليـه والـه). وبكلمـة تماثـل مـا قالـه الإمـام الصادق (عليه السلام) في حق تلميذه هشام بن الحكم الكوفي : (أهلاً بناصرنا بيده ولسانه وقلبـه) . فأنـه (ع) كـان يتمنـى أن يشترك جميع أتباعـه فـي هـذا المشـروع الحضـاري وأن لا تنحصـر فـي جماعـة دون الآخرين . وتكريسـا لـهذا الاتجـاه ، فقد أبـدى اهتمامـا خاصـا بأصـحاب المذاهب الأخرى وعمـل علـى تعليمـهم وإبـداء المشـورة لـهم فـي الكثيـر من المواقف . وهو بذلك يبتغي نشر العلم الذي تضمنته جعبتـه الفكريـة استنادا الى الحديث الشريف " زكاة العلم نشره"[108] .

وما يجب الإشارة إليـه ، أن مدرسة الإمـام الصـادق اتصفت بكثـرة رواة الحـديث ، ومـنهم الأئمـة الأربعـة[109] . وهـذا مـا تناقلتـه المصـادر وتؤكد ان ما ينقل عن الإمـام الصـادق (ع) مـن العلـوم مـا لا ينقـل عـن أحد ، فقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات ، وكانوا أربعة آلاف رجل . وقد صنف ابن عقدة كتاب " الرجال لأبي عبد الله (ع) وعددهم فيه . وكان حفص بـن غيـاث أذا حدث عنه قال : حدثني خير الجعافر جعفر بن محمد وكـان علـي بـن غراب يقول : حدثني الصادق جعفر بن محمد[110] .

108 التميمي ، صافي نايف : مدرسة الامام الصادق عليه السلام ودورها الإنساني والرسـالي ، بحث مشارك في مهرجان ربيع الرسالة الثقافي العالمي السابع .

109: وقد روى عنه الأئمة الأربعة أئمة المذاهب الأربعة الحنفي(ت سنة 150 هـ ، 699م - 767م والمـالكي (ت سـنة :179هـ) والشـافعي (ت204م) ، والحنبلـي (164)هـ/780م - 241هـ/855م) . وقد أشار ابن نعيم فـي حليتـه أن مالـك بـن أنـس كـان قد تحدث عنـه الصـادق وكذا الأعلام الآخرين بما فيهم : ابن الحنفية والشافعي والمالكية ، للمزيد ينظر : حسين نـور الدين : خليفة الله ، ج4، دار المحجة البيضاء ، بيروت لبنان ، 2010، ص117 .

110حسين نور الدين : المصدر السابق ، ص119 .

وقد أشاد بعلمه وخلقه الأئمة الاربعه من المذهب السني ، وكيف لا وهو سليل النسل الهاشمي. فهذا مالك بن أنس ينقل عنه محمد بن زياد الأزدي قوله ((سمعت مالك بن أنس يقول : كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد فيقدم لي ـ مخدة ـ ويعرف لي قدرا ويقول : يا مالك أني أحبك ، فكنت أسّر بذلك وأُحمد عليه))[111] . وكان لا يخلو من إحدى ثلاثة خصال : إما صائما وإما قائما ، وإما ذاكرا . وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد الذين يخشون الله تعالى . وكان كثير الحديث ، طيب المجالسة ، كثير الفوائد ، فإذا قال : قال رسول الله ، اخضر مرّة واصفر أخرى حتى ينكره من لا يعرفه[112] .

ـ الإمام الصادق ومدرسة الكوفة الحديثية :

لقد تميزت هذه المدرسة بقوة عطائها وعقلانية مسارها ، وهذا يعود الى ان رجال هذه المدرسة هم خليط من كل المذاهب الإسلامية بما حملوه من عطاء وتداخل في هذا العطاء منذ بداية حركة الفتوح الإسلامية الذي أثرى تلك المدرسة بمختلف العلوم والأدب . وكان ما ميز هذه المدرسة هو كثرة المحدثين الكوفيين ، إلى جانب ما كانت تشهده باستمرار من السجالات الفقهية والكلامية بين رجال المدرسة[113] .

ولعل ما أضفى الرصانة وقوة علمية هذه المدرسة وتفوقها على المدارس الأخرى ، هو مرور الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام . فحين أراد الخليفة العباسي ان يكمم فاه الإمام الصادق ويوقف بناء قاعدته من المحبين والمريدين له ولمذهبه ، عمد الى نفيه إلى الكوفة ظنا منه أن الإمام سوف يقف عند هذا الإجراء ويعود عن السلوك المعادي للدولة العباسية من خلال كلامه وأحاديثه ولقاءاته . وكما يقال : ربَّ ضارةٍ نافعةٍ ، فأن الإمام تمكن وخلال تواجده في الكوفة من

111محمد حسن الميلاني : قادتنا كيف نعرفهم ، ج4 ، تحقيق محمد علي الميلاني ، مراجعة علي الحسيني الميلاني ، قم 1426هـ ، ص87 .

112المصدر نفسه : ص88 .

113 متاح على الموقع :http://ar.wikishia.net/view

أنتاج طائفة كبيرة من المحدثين والرواة الكوفيين ـ كما اشرنا مسبقا الى ذلك ـ حتى غدا أكثر من روى عنه من الكوفيين . وحصل أن تزايد أعداد المحدثين الشيعة في مدرسة الكوفة ومعه تزايد عدد الأحاديث في مختلف العلوم ولا سيما في تلك السنتين اللتين قضاهما عليه السلام في الكوفة ، وقد شاع ما ذكره الإمام أبو حنيفة النعمان : لولا السنتان لهلك النعمان " وهي إشادة وتوثيق من جهة عليا في الفكر الإسلامي من المذهب الأخر بأهمية ورصانة ما شهدته البلاد في أثناء تواجد الإمام الصادق (ع) فيها .وفي رجال النجاشي قال : أخبرني ابن شاذان قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن سعد بن أحمد بن محمد بن عيسى قال خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء فسألته أن يخرج لي (إلي) كتاب العلاء بن رزين القلاء وأبان بن عثمان الأحمر فأخرجهما إلي فقلت له : أحب أن تجيزهما لي فقال لي : يا رحمك الله وما عجلتك اذهب فاكتبهما واسمع من بعد فقلت : لا آمن الحدثان فقال : لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه فاني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد وكان هذا الشيخ عينا من عيون هذه الطائفة[114] .

ولعل ما أضفى على عمل مدرسة الكوفة من أهمية ونقاوة في مخرجاتها ، هو ما كان يمر به الوكيل من اختبار من قبل الإمام الصادق (ع) في نزاهته وأمانته في نقل المعلومة من الإمام الى شيعته من دون تحريف أو تزويق أو العمل بالرأي والقياس[115] .

الإمام الصادق (ع) يزور جده أمير المؤمنين علي بن ابي طاب (عليهما السلام):

وما دمنا دائبين على تحقيق الروايات التي تؤكد استقرار الامام في مدينة الكوفة فقد وقفنا عند روايات عدة تؤكد أنه (ع) كان قد زار قبر جده أمير المؤمنين في النجف الاشرف . وهو ما يشير قطعا الى حقيقة تواجد واستقراره (ع) في الكوفة لمدة من الزمن ، بدلالة مجاورة النجف للكوفة .

114 انظر المزيد ينظر : الكافي/ 4 : 573 .
115 البراقي، تاريخ الكوفة، ص 142 .

لقد روي عن أبان بن تغلب قال: كنت مع الصادق عليه السلام فمر بظهر الكوفة فنزل وصلى ركعتين ثم سار قليلا فنزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا فصلى ركعتين ثم قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام. قلت: جعلت فداك، الموضعين الذين صليت فيهما ؟ - قال: موضع رأس الحسين، وموضع منبر القائم عليه السلام. وأخبرني الوزير خاتم العلماء نصير الدين محمد بن محمد الطوسي عن والده عن فضل الله الراوندي يرفعه عن مبارك الخباز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أسرج البغل والحمار وهو بالحيرة، فركب وركبت حتى دخل الجرف ثم نزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا فصلى ركعتين ثم سار قليلا فنزل وصلى ركعتين فسألته عن ذلك فقال: الركعتين الأوليتين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين عليه السلام، والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم عليه السلام.

وعن المعلى بن خنيس قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة فقال: افرشوا لي في الصحراء، ففعل ذلك. ثم قال: يا معلى، قلت: لبيك، قال: ما ترى النجوم ما أحسنها ؟ - إنها أمان لأهل السماء فإذا ذهبت جاء أهل السماء ما يوعدون، ونحن أمان لأهل الأرض فإذا ذهبنا جاء أهل الأرض ما يوعدون . قل لهم: يسرجوا البغل والحمار ثم قال: اركب البغل ؟ قال: فركبت وركب الحمار، وقال: أمامك، فجئنا الغريين[116] فقال: هما هما ؟ قلت: نعم.فمضينا حتى انتهينا إلى موضع فقال لي: انزل: ونزل، وقال: هذا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فصلى وصليت.

وعن صفوان الجمال قال: كنت أنا وعامر بن عبد الله عند أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال له عامر: إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين دفن بالرحبة. قال: كذبوا.

---

116 الغري : وهو الحَسِن من كلّ شيء. والغري أيضا: المطلي بالغراء، مفردها الغريان: وهما بناءان كالصومعتين مشهوران بظهر الكوفة بناهما بعض ملوك الحيرة أمثال (المنذر بن ماء السماء) قال الحموي: ويجوز أن يكون اسم الغري مأخوذاً من كلّ واحد من هذين ، ينظر : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب ، مج9 ، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 ، ص323 .

وقد أورد الشيخ الصدوق عدد من الروايات ممن تشير الى حقيقة وجود الإمام الصادق في الكوفة من خلال سلسلة رواة ثقاة كقوله : حدثنا توبة بن الخليل، قال : سمعت محمد بن الحسن يقول: حدثنا هارون بن خارجة، قال: قال لي الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام): كم بين منزلك وبين مسجد الكوفة ؟ فأخبرته، فقال: ما بقي ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح دخل الكوفة إلا وقد صلى فيه[117] .

وفضلا عن ذلك ، فثمة روايات وأحاديث أخرى نقلها رواة ومحدثين تؤكد وتشير إلى استقرار الإمام الصادق (ع) في الكوفة كما هو الحال فيما ذهب اليه احمد بن زياد الهمداني وصولا الى حمزة بن حمران إذ أورد هؤلاء عدة احاديث أكدت أن الإمام الصادق (ع) كان قد زار جده أمير المؤمنين بمعية ولده أسماعيل كما هو الحال فيما ذهب أليه أبان بن تغلب وأبي الفرج السندي وما أورده مبارك الخباز وما أشار إليه الشيخ الكليني وأبن طاووس والمجلسي . وقد أجمع هؤلاء الرواة الثقاة على أن المواضع الثلاث التي صلّى فيها الإمام الصادق (عليه السلام) فهي : موضع قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) وموضع رأس الحسين (عليه السلام) في مسجد الحنانة المعروف بالقائم المائل ، الى جانب مقام الإمام المهدي (عجل) . وهناك دلالات عقلانية تشير وتؤكد للمتفحص جزئياتها على ان الإمام الصادق كان قد أقام بالغري بما فيها أداء صلاته في هذا المقام . وقد تكون الروايات عن سياسة خلفاء بني العباس إزاء خصومهم ومعارضيهم وممن لم يرتضي سياستهم المقيتة ، خير شاهد على وجود الأشخاص ممن هم محور موضوعات هذا الجدل القاضي بسكن أو عدم سكن الإمام الصادق في الكوفة . فقيل أن عام (137هـ) شهد تواجد الإمام الصادق في الحيرة ، حين طلبه المنصور ، فسكن النجف في وادي السلام ، وطلب من أتباعه ، الهجرة إلى جوار مشهد جده أمير المؤمنين عليه السلام فلم تمضِ إلا سنوات قليلة، حتى أصبحت حولهُ قرية يشار إليها بالبنان[118]وفي ذات السنة وصل الإمام الصادق (عليه

117الأمالي للشيخ الصدوق ، ص 469.

118للمزيد ينظر : تاريخ الكوفة : ص90 ؛ الكافي : 4/ 571 ؛ بحار الانوار 97/ 247

السلام) إلى الحيرة، إذ طلبهُ المنصور، ، وقيل أن الموضع الذي سكنهُ لا يزال معلوماً حتى الآن يُزار ويتبرك به الناس ، وكما جاء في تاريخ الطبري في حوادث (144هـ)، كما شاهدها عبد الله بن الحسن ومن معهُ، عندما جيء بهم إلى سجن المنصور في الهاشميات عام145 هـ . وقد طلب عبد الله من أهلها نصرته وتخليصه من المنصور[119] .ومما لا شك فيه أن الآثار ودلالاتها تعد من المصادر الهامة والصحيحة الدالة على وقوع الأحداث التاريخية التي تنص عليها . ولكن من سلبيات هذه المصادر وضعفها ، هو مصادفة ان يكون هناك نظام حكم يتعارض ويتقاطع كليا مع ما ترمز إليه تلك الآثار ، فرمزيتها والتبرك بها والتردد إليها يعتبره النظام المتقاطع معها ، تجاوزا على شرعية الحكم السائد في حينه ، ومن المؤكد ان من يخالف فلسفة الحكم في إدارة الدولة ، بما فيها منع تفاعل الناس مع أثار الرموز ولا سيما منهم من يعدونهم العدو الأول لهم ، ونعني بهم الرموز العلوية وبالذات الأئمة منهم فأن الجدل والاختلاف حول هذا المقام ومن شيده ومن عني به ولماذا لم يتم استمرارية ترميمه وإدامة شكله وبريقه ، كل ذلك يعود إلى سياسة الحكم المستبد في الحيلولة دون تعود الناس على زيارة هذه الرموز خوفا من أن تكون قبلة للانطلاق لمعارضة الحكم ، ومن اجل ذلك ستأخذ هذه السلطات الإجراءات الصارمة للحيلولة دون استمرارية تلك الزيارات لهذا المقام او ذاك . وبمرور الزمن ولشدة وطأة النظام ينقطع الناس عن الورود لهذا المقام الذي يأفل شيئا فشيئا ، لعدم مرور الحياة فيه قسرا ، وبناء على ذلك لم تبق منه سوى ملامح غير واضحة . ومع هذا التصور ، يمكن ان نذهب مذهبا أخر في وقت لا نرفض ما ذهبنا إليه من تفسير اندراس تلك الآثار ، فما بقي فيها من ملامح تكون ناتجة عن أن الإمام الصادق (عليه السلام)، كان في كل مرة يزور الغري ويصلي في مقامه يصطحب من عُلية أصحابه ، فأخذ عنهم رضوان الله عليهم، فتبعهم الشيعة الأمامية سلفا عن خلف، وهذا على الأرجح حال دون اندراس معالمه بالكامل ، وبالخصوص مع إشارة الإمام (عليه السلام) لهم

---

119 للمزيد ينظر : أضواء على تاريخ النجف ـ كاظم الحلفي عن تاريخ الطبري 9/ 197 - مقاتل الطالبين ص156.

بمنزلة هذا المكان وعلوّه، فظهر واشتهر كما اشتهر موضع قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)في النجف، وموضع رأس الحسين (عليه السلام)في مسجد الحنانة . ويبدو واضح أن الوقوف على تاريخية نشوء المقام حين يتم حصر الإشارة إليه بين تاريخين كما ذهب الى ذلك البراقي في تاريخه حين ذكر " وذات مرة كان معه أبان بن تغلب, فكرر الإمام فعله الذي كان يفعله في تعظيم المواضع, وأشار أبان بن تغلب الى موضع منبر القائم (عليه السلام)ومات أبان سنة141هـ,وأستشهد الإمام الصادق (ع)148هـ , فنشأ المقام بين سنتي (137ه - 141هـ) ، وقد وجد أن هذا أول تأريخ تم استخراجه للبحث عن تأريخ مقام الإمام المهدي (عليه السلام) في وادي السلام[120] .

ـ رؤيته (ع) لأهل الكوفة :ـ

في أكثر من موضع ومناسبة يشير الإمام الصادق إلى الكوفة وأهلها واصفا إياهم بالمحبين المضحين من اجل رفع كلمة الله ونصرة البيت العلوي الشريف. وبهذا الخصوص قال عبد الله بن الوليد : ((دخلنا على أبي عبد الله (ع) في زمن بني مروان ، فقال ممن أنتم ؟ قلنا : من الكوفة . قال : ما من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ، لا سيما هذه العصابة ـ الشيعة ـ إن الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس ، وبايعتمونا ، وخالفنا الناس ، وصدقتمونا ، وكذّبنا الناس ، فأحياكم الله محيانا ، وأماتكم مماتنا))[121] .

شهد إمامنا الصادق (ع) في العهد الإنتقالي تحرّك أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني والإطاحة بحكم بني أمية فكان موقفه (ع) تجاه هذه الحركة موقف الرافض؛ لعلمه بعاقبة الأمر.

120البراقي ، حسين بن السيد احمد النجفي : تاريخ الكوفة ، حرره واضاف اليه: السيد محمد صادق بحر العلوم
تحقيق: سعيد راد رحيمي ، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر ، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة 1987م .

121الشيخ الطوسي : الأمالي : 144ح234و678ح .

وفي العهد العباسي قام السفاح بإشخاص الأمام الصادق عليه السلام من المدينة إلى الهاشمية وإلزامه بالإقامة الجبرية في الكوفة لمدة قصيرة ثم أرجعه إلى المدينة, فالسفاح لم يعلن العداء لولد علي عليه السلام عند وصوله للسلطة, بل كان يتظاهر بالولاء لهم إذ أنه يعلم أن الثورة ضد الأمويين إنّما نجحت تحت لواء شعار الولاء لآل محمد وعليّ – صلوات الله عليهم أجمعين - وكان ذلك سبباً في إشخاصه الإمام الصادق عليه السلام وإلزامه بالإقامة الجبرية.

لم تدُم أيّام السفاح إلّا نحو أربع سنوات ثم جاء المنصور واشتدّ الأمر على العلويين فأُخذوا وأُبعدوا عن الكوفة وسجنوا في سجن مظلم حتى مات بعضهم فيه وبقيت جثثهم في السجن حتى مرض بعضهم من ذلك فعمد المنصور إلى هدم السجن على بقيتهم . وقد شهد الإمام ذلك كله ولاقى من المنصور أذىً كثيراً وكان الوشاة يحيطون به من كل جانب وينقلون إلى المنصور من التهم ما هو بريء منها, فيزداد الطاغي بذلك غيظاً على الإمام (ع) ومن نماذج ما لاقاه إمامنا الصادق عليه السلام من أنواع الظلم، ما رواه الشيخ المفيد وغيره: (من أن داود بن علي بن عبد الله بن عباس قتل المُعلّى بن خنيس مولى الإمام (ع) وأخذ ماله فدخل عليه (ع) وهو يجهر وراءه فقال له: قتلت مولاي وأخذت مالي، أما علمت أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب، أما والله لأدعونَّ عليك الله، فقال له داود: أتهدِّدُنا بدعائك.. كالمستهزئ بقوله، فرجع أبو عبد الله إلى داره فلم يزل ليله كله قائماً وقاعداً حتى إذا كان السَّحر سُمِع وهو يقول بمناجاته: يا ذا القوة القوية، يا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزة التي كل خلقك لها دليل، أكفني هذا الطاغية وانتقم لي منه، فما كان إلا ساعة حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل قد مات داود بن علي الساعة[122].

ومن ذلك – أيضا - ما رواه الكليني بإسناده عن المفضّل بن عمر قال: وجّه أبو جعفر المنصور الحسين بن زيد وهو واليه على الحرمين: أن احرق على جعفر بن محمد داره فألقى النار في دار أبي عبد الله فأخذت النار في الباب والدهليز فخرج أبو عبد الله (ع) يتخطّى النار فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله . هذا وقد

---

[122] الطوسي : المصدر السابق ، ص150

اتسّعت الحركة العلمية في أيام الإمام الصادق عليه السلام حيث تزعّمَ الحركة الفكرية والعلمية مع ما لاقاه من الأذى وما شاهده من الظلم تجاه أهل بيته وسائر العلويين فكان (عليه السلام) الذروة العليا في علم الفقه حيث أتيحت له بعض الفرص لإظهار هذا العلم لم يقدر مثلها لغيره من الأئمة (عليهم السلام) فتربّى على يديه جمع غفير من الفقهاء الأماميين فضلاً عن فقهاء المذاهب الإسلامية الأربعة أمثال أبي حنيفة, ومالك بن أنس, وسفيان الثوري, وسفيان بن عيينة, وحفص بن غياث, وشعبة بن الحجاج, وابن جريج, وروح ابن القاسم, وسليمان بن بلال, وإسماعيل بن جابر, وحاتم بن إسماعيل, وعبد العزيز بن المختار, ووهب بن خالد, وإبراهيم بن طهمان, وأشخاص آخرين لا يسعنا ذكرهم في هذه العجالة[123].

وتربّى على يدي إمامنا الصادق (ع) جماعة امتازوا وتميّزوا في علم الكلام وتفوّقوا على من سواهم أمثال: مؤمن الطاق, وهشام بن الحكم, وهشام بن سالم, وحمران بن أعين, والطيار, وغيره..

هذا ولم ينحصر الدور القيادي للأمام الصادق عليه السلام في علمي الفقه والكلام بل شمل مختلف العلوم أيضاً كالتفسير والسيرة وآداب اللغة والعلوم الغريبة, وكان له تلاميذ مختصون بهذه العلوم.توفي إمامنا الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شوال سنة مائة وثمان وأربعين ودفن بالبقيع بجوار أبيه وجده الحسن صلوات الله عليهم أجمعين. وروى المسعودي في مروج الذهب: أن الإمام عليه السلام قد دُسّ إليه سماً, كما ورد في الصواعق المحرقة ومناقب آل أبي طالب.

وختاماً نشير إلى فطنة الإمام عليه السلام وحكمته بما سيجري من بعده على وصيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام, فقد روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني رحمه الله وغيره عن أبي أيوب النحوي أنه قال: بعث إليَّ أبو جعفر المنصور في جوفِ الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب فلما سلمت عليه رمى الكتاب إليّ وهو يبكي فقال لي: هذا كتاب محمد بن سلمان يخبرنا

---

123 للمزيد ينظر : الكليني الرازي ، ابي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت 328- 329هـ) ، الأصول من الكافي ، ج1، ص420 .

أنّ جعفر بن محمد مات, فإنا لله وإنا إليه راجعون – ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟ ثم قال: اكتب, قال: فكتبت صدر الكتاب, ثم قال: اكتب إنْ كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدّمه واضرب عنقه, قال: فرجع إليه الجواب: إنه قد أوصى إلى خمسةٍ وأحدهم أبو جعفر المنصور, ومحمد بن سليمان, وعبد الله, وموسى, وحميدة[124].

- الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الإمام الصادق (ع) -:

عاش الإمام الصادق (عليه السلام) في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية حيث امتازت بضعف السلطة السياسية وعدم قدرتها على إحكام السيطرة الكاملة على شؤون الحياة المختلفة بسبب كثرة الثورات وقوّتها وضعف الحالة الاقتصادية واضطراب الحياة الاجتماعية في أواخر الدولة الأموية بسبب الظلم الفاحش الذي مارسته سلطاتها والإثرة بالأموال واحتكار الإدارة السياسية بيد فئة قليلة من شباب بني أمية الذين استغرقوا في الترف والفسوق والمجون وابتعادهم الصارخ ضد المظاهر الدينية العامّة التي يحترمها عموم المسلمين، وكان أهم هذه الثورات وأوسعها تأثيراً هي ثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة عندما بويع ليزيد بن عبد الملك بالخلافة، وبايعه جمهرة من أهل الكوفة وأشاروا عليه بالتوجّه إلى بلاد فارس ونواحي المشرق لكثرة شيعة آل محمد فيها، ففعل وخرج من الكوفة فقاتله عاملها قتالاً شديداً ، فانهزم إلى الأطراف والنواحي وجمع حوله أنصاراً كثيرين وسيطر على مياه الكوفة ومياه البصرة وهمدان وقم والري وأصفهان وفارس، وأقام هو في اصفهان واستعمل إخوته ولاة على اصطخر وشيراز وكرمان وقم، وقصده بنو هاشم جميعاً بما فيهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي وولاهم الأعمال وأغدق عليهم الأموال ، واستمرّت سيطرته على هذه البلاد حتى خلافة مروان الحمار الذي وجّه إليه عسكراً كثيفاً وعند اقترابه من أصفهان ندب أهلها للقتال فلم يستجيبوا له، ففرّ مع أخوته

---

124 أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، ج2 ، مؤسسة الرسالة - لبنان الطبعة : الأولى، 1417هـ - 1997م ، ص58.

إلى خراسان وذهب إلى أبي مسلم الخراساني وكان في أوائل حركته طمعاً في نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه ثم قتله[125] .

وقد استغل الإمام الصادق (عليه السلام) هذا الضعف الأمني في الدولة فواصل السير على نهج والده في تدريس العلوم المختلفة وعلى رأسها العلوم الدينيّة، وكان عدد المتخرجين من هذه المدرسة العلمية حوالي أربعة آلاف طالب سمعوا حديث الإمام الصادق (عليه السلام) ورووا عنه العلم وتحدّثوا به في أمصار المسلمين وخاصّة الكوفة التي كانت تمثل الثقل الشيعي آنذاك وقد وفّق الإمام الصادق (عليه السلام) إلى تأسيس جامعات علمية جديدة في أقاليم أُخرى ، بل وإلى تأسيس مدن جديدة مثل مدينة قم حيث كانت مركزاً للاشعاع العلمي بتشجيع هجرة الأشعريين إليها وأمرهم بالمقام فيها والصبر على مشاق الحياة فيها[126].

وهكذا يكون الإمام الصادق (عليه السلام) رائد حركة علمية شامخة في المجتمع الإسلامي الذي كانت تنخر فيه عوامل الضعف والتخّلف والجهل، وبذلك يكون أيضاً قد وضع الأُسس القوية لنهضة حضارية شامخة استطاعت أن تمتدّ بتأثيراتها إلى أرجاء المعمورة وخاصة إلى البلاد الأوروبية التي كانت على تماس مباشر مع المسلمين بعد الفتح الإسلامي للأندلس. وقد تخرج على يد الإمام الصادق ثُلّة من العلماء في مختلف ميادين المعرفة كجابر بن حيان في الكيمياء وزرارة ومحمد بن مسلم في الفقه وهشام بن الحكم ومؤمن الطاق في علم الكلام، وغيرهم في علوم أُخرى. وبالإسناد قال: قال الصادق عليه السلام: مأمن عبد صالح ولا نبي إلا وقد صلى في مسجد كوفان حتى إن النبي {صلى الله عليه وآله{، لما اسري به قال له جبرائيل {عليه السلام{، أتدري أين أنت يا رسول الله الساعة، أنت مقابل كوفان، قال: فاستأذن لي ربي حتى آتيه فاصلي فيه ركعتين فاستأذن الله عز وجل فإذن له وان مئذنته لروضة من رياض الجنة، وان مؤخرة

---

125 ألطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن : تهذيب الاحكام : ج2، ضبطه وصححه وخرج احاديثة وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين دار التعارف للمطبوعات - بيروت لبنان الطبعة: الاول ، ص130وما بعدها . .

126 جعفر بن محمد بن قولويه (ت 367هـ) ، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ، 1417هـ ، ردمك ، ص28.

روضــة مــن ريــاض الجنــة وان الصــلاة المكتوبــة فيــه تعــادل بــألف صلاة[127] .

ـ مدرسة الكوفة :ـ

في أخريات حياة الإمام الصادق عليه السلام، انتقلت مدرسة الفقه الشيعيّ من المدينة إلى الكوفة، وبذلك بدأت حياةٌ فقهيّةٌ جديدةٌ في الكوفة اشتغل فيها الإمام في نشر المذهب الشيعيّ. وقد أدّى التجمّع والالتقاء بالإمام في الكوفة إلى أن يأخذ الجهاز العباسيّ الحاكم حذره منه، فخاف المنصور الدوانيقيّ أن يفتتن الناس بالإمام عليه السلام فطلبه إلى قربه في بغداد .

لقد برزت مدرسة الكوفة بقوة في علم أو ظاهرة التدوين التاريخي من أيّام الإمام الباقر عليه السلام ونمت أيّام الإمام الصادق عليه السلام . لتصبح اكثر عمقا واكثر شمولية ، فقد درّس فيها العلماء والخطباء مواد مختلفة تراوحت بين :ـ

الدروس المتنوعة كدروس الجامعات أيامنا هذه... فهو امام في .

آ- في الفقه و التشريع .

ب - تفسير القرآن و علومه .

ج - الفلسفة - علم الكلام - في منهج قرآني ...

د - أصول علم الفقه .

هـ - علم الأخلاق .

و - علم الطب .

ز - علم الكيمياء .

ح - علم الفلك .

ط - العلوم الكونية .

ي - علم الأحياء.

وكانت المدرسة عنصر استقطاب لطلبة العلم والراغبين فيه ، حتى راحت تحقق حيزا واضحا بين كل المؤسسات العلمية والخدمية ، مما زاد عدد الوافدين أليها . وصادف أن تتوسع حاجات المسلمين في هذا الوقت، وقد تزاحم الناس على أبواب الفقهاء يطلبون منهم الرأي فيما استجدّ عليهم . وحين ذاك ، غدت هذه المدرسة بمثابة قبلة للوافدين ممن يرومون مقابلة الفقهاء . ونتيجة للتنافس واتساع وتعدد الجماعات والفرق الإسلامية ، فقد أدى هذا الأمر إلى حدوث الاختلاف في نقل الروايات، إذ شاع نقل الحديث عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في هذه المرحلة ، وكثر الدسّ وظهر الاختلاف في متون الروايات[128] . وهذا الأمر أدى فيما أدى إليه أن تتزاحم الإشكاليات وتتسع شقة الخلاف بين المذاهب الفقهيّة الإسلاميّة في كثيرٍ من المسائل الخلافيّة . ومن المفيد القول أن المعنيين بالحكم وقتذاك ، هم أنفسهم من كان يغذي هذا الصراع ، حتى لا تلتفت الجموع صوب سيئات الحكم ، وسيلة لامتداد عمر الدولة كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون في نظريته الأجيال . وعليه فأن أئمة أهل البيت عليهم السلام قادرين على وضع الأمور في نصابها .

ـ الإمام الصادق بين مدرسته في الكوفة وبين سلطة العباسيين :ـ

روى ألمجلسي في: إن المنصور الدوانيقي[129] كتب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) كتاباً يقول فيه: (لمَ لا تغشانا كما تغشانا سائر

128

129 لقّب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بالمنصور الدوانيقي ، لحرصه على المال وبخله رغم أنه جمع ثروات لم يجمعها خليفة قبله، وأصل الدانق (دانه) أي حبة، وهو جزء الدرهم، وذكروا لتسمية المنصور بأبي الدوانيق والدوانيقي أسباباً، يجمعها حرصه على المال، وبنى بغداد، وقام بمشاريع كبيرة! لكنه كان مفرطاً في بخله! وكان المنصور يرقع ثيابه بيده ويُحاسب على الدانق حتى عُرف بالمنصور الدوانيقي؛ وذات مرة مرض المنصور، فاستدعى طبيباً له، فعالجه فتماثل للشفاء وقدم له رغيفاً من الخبز في مقابل إنقاذه من

الناس)؟! فأجابه الإمام: (ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك عليها ولا تعدها نقمة فنعزيك بها فلمَ نغشاك)؟! فكتب إليه المنصور ثانية: (تصحبنا لتنصحنا) فأجابه الإمام: (من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصطحبك[130].

يتجلى في هذين السؤالين وجوابيهما الكثير من الدلالات والمعاني يستطيع القارئ أن يجد في مجالاتها الواسعة حيّزاً كبيراً للتأمل والتفكير ومن ثم الاستنتاج وكشف الستار عن مدى الفجوة العميقة بين خط السلطة المنحرف وخط الإمام الذي جسّد الإسلام بكل معانيه، كما تتضح فيهما ما يطمح إليه السائل وما يصبو إليه المجيب، فالسائل كمن يحاول أن يحصر البحر في زجاجة أو يقبض الشمس ليجعلها في حوزته، بينما المجيب يحمل في جنبيه روحاً أنقى وأسمى من أن تتعلق بشوائب الدنيا وتطمح إلى مغرياتها، فقد كان (عليه السلام) يحمل مبادئ الرسالة العظيمة التي جاء بها جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكما حملها من قبله آباؤه الطاهرون وحملها بعده أبناؤه المنتجبون.

منهج لا يحيد وما دمنا بصدد الحديث عن هذا الجانب وهو الدور المعارض للإمام الصادق للانحراف السلطوي لا بد من الإشارة إلى أن دوره كان متماهياً مع أدوار الأئمة الإثني عشر تجاه السلطة ، فلم يختلف دورهم (عليهم السلام) كلهم في مواقفهم المعارضة والمجابهة للسلطة الظالمة، فإضافة إلى عملهم على توجيه الأمة عقائدياً نحو التمسّك بالمبادئ الإسلامية ، فقد كان دورهم مشتركاً في مواجهة

المرض، إلا أن الطبيب علق الرغيف في رقبته، وأخذ يتجول في السوق وانهالت أسئلة الناس عليه دهشة قائلين: ما السبب في تعليقك للرغيف على رقبتك؟؟ فأجاب في سخرية: جائزة الأمير على طبابتي له، وعلى إنقاذ حياته؛ ودق الخبر ردهات قصر المنصور، فاستدعاه وقال له بصلافة: إنك لا تستحق رغيفاً كاملاً مقابل طبابتك لي، فأخذ ثلاثة أرباع القرص وأعطى الطبيب الباقي. ينظر : الكامل في التأريخ:355/4

[130] المجلسي : الشيخ محمد باقر (1037هـ-1111 هـ) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تحقيق محمد الباقر البهبودي ، ج47 ، الطبعة الثانية ، 1983، ردمك ، ص18.

السلطة المنحرفة عن هذه المبادئ والحدّ من ممارساتها القمعية وأساليبها في سلخ القيم الإسلامية عن الأمة.

وما يجب الالتفات إليه أن علم الأئمة الأطهار ، لم يكن علما مكتسبا إنما هو علم متوارث عن سلسلتهم التي تنتهي بالرسول الأعظم (ص) . وهذا العلم أكسب شخوصهم الكبرياء والترفع عن ترف الدنيا ومغانمها ، مما خلق في دواخلهم نفسا معارضا لأي حاكم غير قويم ولا يحكم بما أنزل الله من سلطان ولا بيان . وهذا ما يفسر لنا سر مقاطعة الأئمة ومنهم الإمام الصادق (عليهم السلام) للسلطتين الأموية والعباسية ، لا سيما بعد ان تبين له انحراف تلك السلطتين عن خط الإسلام، الأمر الذي أشعره بمسوؤلية ملزمة تتمثل بضرورة التصدي لهذا الانحراف. وإذا ما علمنا أن الحكم عقيم ، وكما يقول الإمام علي (ع) " إن الحكم داء ليس له دواء " فهذا يفسر لنا دوافع المواقف المتخذة من قبل الدولة العباسية بحق الإمام الصادق (ع) ، والتي بدأها بمحاولات التحايل واللجوء إلى أساليب ملتوية إزاء محاولة الإمام لإفراغ ما في جعبته من تصميم على المواجهة ، وهو أمر نراه ساذجا إذا ما أدركنا ان تلك المواقف تندرج في سياق لون من ألوان السياسة التي تلجأ إليها تباعا لتصفية خصوم الدولة . إلى جانب ذلك ، ويبدو انه الأهم ، فالنظام الحاكم هنا يحاول ان يكسب الشرعية من خلال الاتصال بالإمام الصادق والتشاور معه في أمور تتعلق بحكم الدولة ، وبالتالي التمهيد حسب تفكير الخلافة بضمه إلى وعاظ السلاطين وما سيتمخض عنه من تضعضع شخصية الإمام في عيون العامة ، وهذا ما لم يتحقق له إطلاقا . وهذا الفشل في اختراق شخصية الإمام ، دفعت بالمنصور إلى مضايقته (ع) والنيل منه ومن أصحابه ، فضلا عن محاولات عديدة للحط من قيمة ورقي مدرسته المعطاء .

ومن الواضح أن تلك الأجواء المشحونة بالكراهية وخلق الفتن التي أوجدها الحكم العباسي أمام سعي الإمام الصادق لإشاعة روح الإسلام وقيمه ، خلقت أمامه دافعا ووازعا أسمى ، أشعره بضرورة تفعيل دوره الإيماني والجهادي أمام جهل وطغيان الخلافة العباسية . وليس من المستغرب أن تجد دعوات الإمام الإصلاحية والفكرية المنبثقة عن مدرسته التي أسس لبنيانها ، قبولا لدى طيف مؤثر من

سواد الأمة وقتذاك ، بدليل أن عدد تلامذته قد وصل إلى أربعة آلاف كان منهم قادة فكر وأرباب ثقافة أسلامية في شتى المجالات.
ومن خلال اطلاعنا المتواضع على سيرة وبنيوية هذه المدرسة ، تبين لنا أن ثمة مميزات اتصفت بها ، لعل أهمها استقلالها التام وعدم خضوعها لنظام السلطة، الى جانب الارتباط التام بمنهج القرآن الكريم وتعاليم الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما أشار اليه الإمام في مجمل أحاديثه وأقواله ، مستشهدا بالآية الكريمة: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)[131]. وبذلك ، فأنه أسس للجدار الفاصل بينه وبين تعامله مع السلطة العباسية . وأكثر من ذلك قال بشأن هذا التطور في علاقته بالخلافة العباسية : ((وأما وجه الحرام من الولاية فولاية الجائر وولاية ولاته ، فالعمل لهم والكسب لهم بجهة الولاية لهم حرام ، معذّبٌ فاعل ذلك على قليل من فعله أو كثير). وواضح إن الإمام بقوله هذا إنما يبتغي مقاطعة تامة للعمل مع السلطة بقوله ((ما أحب أن أعقد لهم – أي الظلمة – عقدة أو وكيت وكاءً ولا مبرة بقلم، إن الظلمة وأعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد)[132].
وعليه فالصراع الذي حصل بين توجهات الامام الصادق (ع) والمتقاطعة مع توجهات الدولة العباسية ، كان سببا ملحا أمام السلطة العباسية لإزالة هذا المعارض القوي لنهجهم ، وكان لا بد من تصفيته والخلاص منه ومن تداعيات وجوده وحضوره لدى عامة الناس ، فكانت نهايته (ع) على يد الجزار المنصور الدوانيقي .

- الإمام الصادق (ع) وكتاب الجفر :

يبحث علم الجفر عَنِ الحُرُوفِ مِنْ حَيْثُ دَلاَلَتُهَا عَلَى مَعْرِفَةِ الحَوَادِثِ عَلَى انْتِهَاءِ العَالَمِ . وتفيد الروايات المساقة عن هذا الموضوع ، إن تسميته بالجفر لكونه
كان مكتوبا في جلد ثور صغير فسمي "الجفر" . والجفر في اللغة هو الصغير ، أما محتوى هذا الكتاب فهو: التعاليم السرية للأئمة ألاثني

131هود / 113
132 الوسائل / 17، ص154

عشر ، الى جانب معرفة أحداث الماضي و الحاضر , وبضمنها أسماء جميع الملوك الذين سيحكمون على الارض وعلم النبي محمد) صلى الله عليه و اله و سلم و الأنبياء السابقين و ألائمه ألاثني عشر الى جانب الإنجيل الأصلي (الكتاب الذي نزل على عيسى المسيح) عليه السلام (التوراة الأصلية) (الكتاب الذي نزل على موسى عليه السلام (ألزبور الأصلي) (كتاب نبي الله داود عليه السلام) و صحف إبراهيم الأصلية و معرفه و تاريخ الأنبياء و حوادث حياتهم و الحوادث الباطنية الخاصة , و هذه كلها محتواة في جزء واحد من الجفر يسمى الجفر الأبيض , الذي يحتوي 14 قسم وكل قسم يحتوي 14 تفرع آخر ،فضلا عن حقيبة تحتوي درع وسيف النبي محمد (صلى الله عليه و اله و صحبه و سلم) بضمنها سيف ذو الفقار وقوانين الإسلام ,توجيهات و أمور تتعلق و تتضمن أمور الحروب كل هذه الأمور موجودة ضمن القسم الأخر المعروف ب(الجفر الأحمر) أو علم علماء بني إسرائيل[133] . والأكثر شيوعا أن هناك ثلاثة أشخاص ممن حصلوا على هذا الكتاب وهم :

الإمام" علي بن أبي طالب."

الإمام" جعفر الصادق."

الإمام" محمد ماضي أبو العزائم"[134] صاحب دعوة الوراثة المحمدية لهذا العصر.

والكتاب الأخير مطبوع في دار الكتاب الصوفي بالقاهرة.

والشيء المتفق عليه أن الامام الصادق (ع) كان قد حصل على نسخة هذا الكتاب وقد تناقلته الاسر العلوية جيلا بعد جيل . على ان

---

133 متاح على الموقع : https://ar.wikipedia.org/wiki

134 أبوه هو عبد الله المحجوب بن أحمد بن مصطفى بن إبراهيم بن صالح بن ماضي نسبة إلى عين ماضي بجوار الساقية الحمراء على الحدود بين مراكش والجزائر، بن درويش، بن محمد، بن علي، بن محمد، بن إبراهيم، بن رمضان، بن أحمد، بن عبد الحميد، بن محمد، بن علي، بن حسن، بن زيد، بن حسن، بن علي الطويل، بن محمد، بن إبراهيم، بن محمد، بن عبد الله العوكلاني، بن أبو الحسن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين السبط، ابن علي بن أبي طالب، ولديه أقارب في العراق هم ممن ينسبون إلى عبد الله العوكلاني وهم من الأشراف صحيحي النسب. ينظر : https://ar.wikipedia.org/wiki

الاعتقاد السائد والاجماع الشيعي موقنون أن ملكيه الكتاب الآن بين يدي الإمام ألحجه محمد المهدي) عجل .
وعلى قدر ما يتعلق بموضوعة كتابنا ، وهو البحث عن الخصائص والامتيازات والمنجزات الثقافية والفكرية والعلمية لشخص الإمام الصادق (ع) ، سعيا لمقاربته مع الشخوص ممن تم وصفهم بأبطال التاريخ لاعتبارات أشرنا أليها ، توجب علينا متابعة أي أثر يدلل على صحة وواقعية وجود هذا الكتاب عند الامام الصادق ، لان ثبوت هذا الامر له دلالاته العلمية والعناية الإلهية . وليس أمامنا سوى بعض الأحاديث التي تؤكد وجود كتاب الجفر كما هو الحال فيما رواه الشيخ الكليني عن أبو الحسن : أن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قال "ابني علي , هو أكبر ولدي وأحبهم إلي قرأ الجفر معي بينما لا أحد ما عدا النبي محمد) صلى الله عليه و اله و صحبه و سلم) وورثته قرأوه فيما روي للسلطان عبد الله ابن سنان ان الإمام جعفر الصادق قال عندما ذكرنا أمامه نشاطات سليل الإمام الحسن وأيضا الجفر :"اقسم بالله حفظنا ورقتان صنعت من جلد الماعز و الغنم . هاتان الورقتان تضمنتا خطب رسول الله بخط يد الإمام علي)[135] .

ـ مدرسة الإمام الصادق العلمية وأثرها في مسجد الكوفة:

يجب أن لا يغيب عن البال ، أن تسمية مدرسة تحت عنوان مدينة او شخص ، إنما هي دلالة قطعية على أثر تلك المؤسسة العلمية في إثراء الشعوب بالتراث العالمي والعمل على صيانته من التضييع والإهمال ، على أن المنجز الهام لتلك المدرسة ، متجسد بعطاء مؤسسها وأتباعه من المفكرين والمبدعين . وما زلنا بصدد الحديث عن مدرسة الإمام الصادق ، فلا بد أذن أن نعرج على مآلها ورجالها وشخصيتها العلمية

135 للمزيد عن هذا الموضوع ينظر : معجم أشعار المعصومين الواردة في بحار الأنوار، لمركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، قم / ايران ، 1423هـ .

وما قدمته من رؤى وأفكار عكست مضمونها وفحواها . والذي أدركناه وتجسدت خطوطه ماثلة أمام ناظرينا ، أن تلك المدرسة العريقة انبثقت من مسجد الكوفة ، حيث كان هذا المسجد منبع شعاع العلم وشيوعه .
ولرب زائر يزور باحة مسجد الكوفة ، وبالذات اذا ما وقف عند مقام الإمام جعفر الصادق (ع) ، فأن هذا المقام يحكي قصص العلم والعلماء والتلامذة والطلاب ، وكان هذا الوقت قد شهد زوال دولة بني أمية ومجيء العباسيين ، فكانت الدولة العباسية في بداية تشكيلها ، وشغلها الشاغل إقرار الأمن وتثبيت سلطة الخليفة ، الأمر الذي أوحى للإمام الصادق أن يبدأ بنشر علوم أهل البيت (ع) ، محاولة منه لإعادة وتفعيل مدرسته العلمية التي بذلت الدولة الأموية كل جهد في سبيل القضاء عليها وإخفاء معالمها .

ومن الملفت للنظر ، وكما يقال " ربَّ ضارة نافعة " فأن الخليفة العباسي " المنصور الدوانيقي ، وبعد أن تأكد له استحالة وقف سريان مفعول الإمام في الناس في بغداد ، ولأنه يخشى الرأي العام اذا ما أقدم على قتله (ع) فأنه جعل قراره النفي بعيدا عن بلاده . وهذا هو ديدن الحكام المستبدين ممن يخشون قتل المعارض لربما سيثير ضده مواجع وآلام ، ففضلوا اللجوء الى حكم أقسى وأمر ، إذ عمدوا الى أسلوب النفي بعيدا عن الديار والأهل ومن غير رجعة يأملها . وبذلك فهو موت بطيء استحسنه المنصور العباسي في معاقبة الإمام الصادق ، فكان أن أمر بنفيه الى الكوفة ووضعه تحت الإقامة الجبرية . وكان هذا الجو الذي دخله الإمام ، قد أومأ له بالعمل بعيدا عن عيون الخلافة والإعلان عن مدرسته العلمية التي ضمت بين دفتيها الآلاف من التلاميذ والرواة والتابعين[136] .

وكان من مخرجات هذه المدرسة العلمية ، هو بروز ما عرف بعلم الفقه والذي شهد شيوعا في مدرسة الفقه الشيعي التي تحولت في حينه من المدينة الى الكوفة ، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة من بلورة حياة فقهية تتعاط ومتطلبات الحياة اليومية ، لا سيما وان الكوفة وقتذاك كانت تمثل مركزا اقتصاديا وسياسيا ، الامر الذي هيأ لهذه المدينة ان تمارس مركزا تجاريا وتعليميا ، حيث قصدته العديد من البعثات

136للمزيد ينظر : ألمجلسي : بحار الأنوار ، ج46 .

التجارية والعلمية فكان ذلك بمثابة مشروع لجذب السكان أليها ، بل وكان هذا المسار للقبائل وتبرير للهجرة إليها[137] .

وكما أسلفنا الذكر : ربَّ ضارة نافعة : فأن التحرك السكاني باتجاه التجارة والصحة ، صحيح أنه أدى الى تغيرات ديموغرافية ، الى جانب أمتلاء القرى والارياف بالمهاجرين ، فكان من المحتمل أن يربك هذا التفاعل والتجمهر في مناطق شاء القدر أن ينشغل حكامها بترف الحصول على السلطة ، لا سيما وان السلطة الأموية انتهت لتحل محلها السلطة العباسية ، فانشغلت بأمور تثبيت كيانها واستتباب أمنها ، ألأمر الذي أوجد فسحة من فراغ وسكون ، استغله الإمام (ع) في التأسيس لمدرسته التي كانت بمثابة محورا لكل الثقافات العالمية .

وما يجب أن يقال ، أن ما امتلكه الإمام الصادق من ثقة بما هو عليه وما يدعو له صحبه ومريدوه ، قد نوه به أبن سعد بعد أن ترجم للمئات من التابعيين ممن سكنوا الكوفة . وفضلا عن ذلك ، فأن الإمام الصادق كان مدركا لكل التحديات التي كان من الممكن أن يواجهها بكل شدة وحنكة وصرامة[138] . ولما كان قد شد العزم على مواجهة هذا التحدي ، فقد أشاع الشيء الصحيح عما يروم تكوينه ، وهو مجتمع محصن يتبع الله ورسوله في حياته العامة ، وينوء بنفسه في ركن بعيد من البيت . فكان ما يمارسه من فعاليات رائعة في نشر المذهب الشيعي ، أن وجدت ضالتها في الانتشار والتأقلم مع كل المستجدات الناتجة عن نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية ، فأخذ المذهب الشيعي بالاتساع لا سيما وان هذا الانتشار السريع لم تصاحبه معارضة شديدة تلفت نظر الدولة العباسية إليه ، حتى صار مسجد الكوفة محورا لتجمعات شيعية وحلقات دراسية تدرس الفقه الشيعي ، بحيث زاد عدد الحلقات على التسعمائة حلقة ولكل حلقة شيخ جليل يقوم بالدرس والتصويب[139] . ومن مزيات وخاصية مدرسة الكوفة ،

137البراقي : تاريخ الكوفة ، ص32 .

138طبقات ابن سعد ، المصدر السابق .

139 - إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن مسعود الثقفي. عالم ومؤرخ من الكوفة، ولكنه أقام بأصفهان .كان على المذهب الزيدي في أول الأمر ثم تحول إلى المذهب الشيعي الأمامي.

أنها عنيت بتراجم الرجال إلى جانب اشتهارها بالفقه والحديث ، وكان من أهم من برز فيها محمد بن مسلم الكوفي والحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي المتوفى عام 333هـ . وفضلا عن ذلك ، فقد برزت بيوتات علمية في الكوفة مثلت نبوغا في تلك المدرسة كما في "آل أعين" و" آل حيان التغلبي " وغيرهم الكثير .

وإذا ما راجعنا بروية منتج مدرسة الكوفة بما في ذلك ، تخصصها ورجالها وشيوخها إلى جانب الوقوف على أهم ما صدر من كتب ودراسات عنيت بشكل أو بأخر بواقع مدينة الكوفة وأثرها العلمي والفكري في ارتقاء الدولة العربية الإسلامية وبالتالي تسيد الحضارة العربية الإسلامية طيلة مرحلة العصور الوسطى ، سندرك حينها أن هذه المدرسة تكون قد فاقت ما للمدارس العلمية الأخرى بما فيها مدرسة بغداد والمدينة ومدرسة اليمن ودمشق ، استنادا لتلك المعايير العلمية التي ميزتها ، ولا سيما تميزها الفقهي والبلاغي إلى جانب تميزها بتدوين الحديث الذي لم يألفه المحدثين الشيعة قبل بروز هذه المدرسة ، بعد أن أدرك الإمام الصادق (ع) ضرورة المحافظة على النسق الرصين من رواية الحديث الشريف لا سيما بعد أن تعرض للوضع والتغيير . ولعل من الأمور الهامة لتلك المدرسة ، هو ظهور ملامح الاجتهاد عند فقهاء الشيعة بيد انه لم يتخذ شكله النهائي ، إنما أخذ اسم "القياس والاستحسان " بعد أن حار البعض في كثرة تساؤلات الناس الوافدين على بيوت الفقهاء للبحث عن إجابات أفرزت في نفوسهم أمورا وإشكالات باتت وقتذاك تشكل جدلا محيرا ، بالأخص إن القرآن الكريم لم يشر إليها ، بيد انه أشار في الآية القرآنية الكريمة " واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " بوصفه طريقا لحل تلك الإشكالات ، خوفا لئلا تتحول الى إحباط لعدم وجود البدائل والحلول لها مع حصول المتغيرات المتسارعة في حياة الناس اليومية مما استدعى

له أكثر من خمسين كتابا، منها: كتاب المغازي؛ السقيفة؛ الردة؛ مقتل عثمان؛ الشورى؛ الجمل؛ صفين؛ الحكمان؛ مقتل علي؛ كتاب التاريخ؛ السيرة؛ أخبار يزيد؛ ابن الزبير؛ أخبار عثمان؛ أخبار عمر؛ محمد النفس الزكية وإبراهيم ولدا عبد الله المحض، الغارات الذي ينقل عنه المجلسي كثيرا وكذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وابن معصوم في الدرجات الرفيعة.

التجديد ومواكبة هذه المتغيرات ، فكان ذلك على الأرجح ممهدات لحصيلة الجهد المتنامي وصولا إلى خاصية الاجتهاد التي أختص بها المذهب الشيعي دون المذاهب الأخرى . والى ذلك ، فثمة ظاهرة سلبية كانت وقتذاك قائمة تمثلت بالدس في الحديث مما حدا بالرواة الاتصال بالأئمة (عليهم السلام) للوقوف على الصحيح منها فضلا عن وضعهم الآلية المثلى لنقل وتخليص التدوين من حالة الدس والتحريف ، وكان ديدن عمل مدرسة الكوفة قائما على هذا التصويب ، فبرز ما عرف بظاهرة (الأخبار العلاجية) في الأصول .

ويبدو واضحا إن هذه المدرسة الفقهية العريقة ، قد اتسعت وتنوعت في عطائها فكان من مخرجاتها ، ظهور المذاهب الفقهية والتي قام على أساسها التشريع ومحاكاة الفكر ، وقد ينوه البعض بأن ظهور هذه المذاهب أدى الى تشتيت الوحدة الفكرية في الإسلام بعد أن تعدد الآراء والأفكار والاجتهادات ، وتعددت معها الخطوط العامة لتلك المذاهب بحيث لم تلتقي بقدر ما كانت تتقاطع ولو مبدئيا . ونحن لا نختلف مع هذا الطرح ولا نتعارض مع القول الذي يريد أن يوضح أن هذا التمايز وبروز مثل تلك المذاهب كان عامل ضعف لا قوة ، كل شيء وارد وواقعي وقد أدى ذلك إلى تشظي الفكر وتناثره بين الخطوط والتوجهات. ولكن الشيء الذي لربما لم يدركه البعض ممن يذهب إلى مذاهب متعددة ضيقة بحيث يشيح النظر عن زوايا ويركزه في زاوية واحدة ، فتأت أحكامه ضيقة غير شاملة وغير عاملة . وبما هو مسلم به ، فأن الاختلاف في الفكر ، أي تجاذب الأفكار وتقاطعها بين المتحاورين سيؤدي بالنتيجة إلى ورود أفكار أخرى بوصفها مخرجات ايجابية لذلك الفكر المتجادل عليه ، وحينها سيكون كما هو كان العديد من الأفكار والتوجهات ساقها أصحابها من المؤرخين والمفكرين والمعنيين بالدراسات الدينية ، لينتج من جراء ذلك التجاذب رؤى وأفكار تودع في أمهات الكتب والمصادر ، مما أوجد في التراث والفقه الإسلامي مجلدات لم تتسنى مع مرور الزمن ولم يقلل من قيمتها بل باتت مصادر لكل من سلك التدوين وكتابة الحديث . وتلك مزية من مزايا هذه المدرسة . وفضلا عن ذلك ، ونتيجة ما برز من اختلافات فقهية بين المذاهب وتسييس هذه الاختلافات ، فقد حرص

القائمين على أمر الشيعة حينها الى الحيلولة دون تعرض أبناء المذهب ولا سيما منهم الفقهاء الى حالة من الاضطهاد بسبب آرائهم ، فلجئوا الى ظاهرة "التقية" ، ومع إن هذا السلوك الذي لا يمكن ان ندلوا بدلونا فيه ، لأسباب عدة منها أننا لم نعهد الظرف الذي كان يعيشه أصحاب المذهب ولا علم لنا بمستوى الشدة التي كان يتبعها الحكام ضد أتباع هذا المذهب لا سيما منهم من يفتي ويؤسس للمذهب ، فالناس أعداء ما جهلوا ! . صحيح إن الروايات التاريخية تنقل لنا وتتحدث عن مأساة ما كان في حينها ومعاناة الرواة والمحدثين ورجال الدين وأتباع أهل البيت المقربين ، ممن يناهض او يعطي رأيه المناقض لرأي الحاكم . ومن ذلك فليس من الإنصاف إن نؤسس لمقاربة بين التقية وبين ما ذهب إليه البعض ممن أعطى أحكاما غير مستندة إلى حقائق ، بقدر ما كانت تحمل هدفا مغرضا ، وكأنه في حلبة صراع وهو مغلوب ، ولا بد له من جرعة نشاط تسعفه . والى ذلك ، فمن مزيات مدرسة الإمام الصادق الهامة ، هو وضع أسس وموازين خاصة بظاهرة الاجتهاد من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبما أسس هذا الأمر لظهور خاصية الاستنباط .

وما يحسب لهذه المدرسة أنها قد تميزت بقوة عطائها وعقلانية مسارها ، وهذا يعود الى ان رجال هذه المدرسة هم خليط من كل المذاهب الإسلامية بما حملوه من عطاء وتداخل في هذا العطاء منذ بداية حركة الفتوح الإسلامية التي أَثرتْ تلك المدرسة بمختلف العلوم والأدب . وكان ما ميز هذه المدرسة هو كثرة المحدثين الكوفيين ، إلى جانب ما كانت تشهده باستمرار من المساجلات الفقهية والكلامية بين رجال المدرسة[140] .

ولعل ما أضفى الرصانة وقوة علمية هذه المدرسة وتفوقها على المدارس الأخرى ، هو مرور الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام . فحين أراد الخليفة العباسي ان يكمم فاه الإمام الصادق ويوقف بناء قاعدته من المحبين والمريدين له ولمذهبه ، عمد الى نفيه الى الكوفة ـ كما نوهنا بذلك ـ ظنا منه أن الإمام سوف يقف عند هذا الإجراء

---

140 متاح على الموقع: http://ar.wikishia.net/view

ويعود عن السلوك المعادي للدولة العباسية من خلال كلامه وأحاديثه ولقاءاته . وكما يقال : ربَّ ضارةٍ نافعةٍ ، فأن الإمام تمكن وخلال تواجده في الكوفة من تربية طائفة كبيرة من المحدثين والرواة الكوفيين ـ كما اشرنا مسبقا الى ذلك ـ حتى غدا أكثر من روى عنه من الكوفيين . وحصل ان تزايد أعداد المحدثين الشيعة في مدرسة الكوفة ، ومعه تزايد عدد الأحاديث في مختلف العلوم ولا سيما في تلك السنتين اللتين قضاهما عليه السلام في الكوفة ، وقد شاع ما ذكره الإمام أبو حنيفة النعمان : " لولا السنتان لهلك النعمان"[141] وهي إشادة وتوثيق من جهة عليا في الفكر الإسلامي من المذهب الأخر بأهمية ورصانة ما شهدته البلاد في أثناء تواجد الإمام الصادق (ع) فيها .

وفي رجال النجاشي قال : أخبرني ابن شاذان قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى عن سعد بن أحمد بن محمد بن عيسى قال خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء[142] فسألته أن يخرج إلي كتاب العلاء بن رزين القلاء[143] وأبان بن عثمان الأحمر فأخرجهما إلي فقلت له : أحب أن تجيزهما لي فقال لي : يا رحمك الله وما عجلتك اذهب فاكتبهما واسمع من بعد فقلت : لا آمن الحدثان فقال : لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه فاني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد وكان هذا الشيخ عينا من عيون هذه الطائفة[144] .

ولعل ما أضفى على عمل مدرسة الكوفة من أهمية ونقاوة في مخرجاتها ، هو ما كان يمر به الوكيل من اختبار من قبل الإمام

وإزاء هذه القضية قال العلامة السياسي أزاء العملات في الخليج وولايا أيلول (سبتمبر) 2009 ...قال : محمود شكري الآلوسي في " صب العذاب على من سب الأصحاب " (ص 157 - 158) ، مانصه : (هذا أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه - وهو بين أهل السنة - كان يفتخر ويقول بأفصح لسان " :لولا السنتان لهلك النعمان . " يريد السنتين اللتين صحب فيها - لأخذ العلم – من الإمام جعفر الصادق ، وقد قال غير واحد من الأجلة : إنه أخذ العلم عن الامام جعفر الصادق (ع) .

142 الحسن بن علي بن زياد الوشاء: بجلي كوفي، قال أبو عمرو: ويكنى بأبي محمد الوشاء وهو ابن بنت إلياس الصيرفي الخزاز خير، من أصحاب الامام الرضا عليه السلام .

143 من أصحاب الامام الصادق (ع) .

144 انظر المزيد ينظر : الكافي 4 : 573 .

الصادق (ع) في نزاهته وأمانته في نقل المعلومة من الإمام إلى شيعته من دون تحريف أو تزويق أو العمل بالرأي والقياس[145] .

الإمام الصادق (ع) بين قبر أمير المؤمنين (ع) وبين مدرسته في الكوفة :

وهناك العديد من الروايات التاريخية التي تؤكد زيارات متعددة قام بها الإمام الصادق (ع) الى جده أمير المؤمنين (ع) وهذا ما يوثق لنا ويؤكد سكن واستقرار الإمام الصادق في الكوفة . وحول ذلك روي عن أبان بن تغلب قال: كنت مع الصادق عليه السلام فمر بظهر الكوفة فنزل وصلى ركعتين ثم سار قليلا فنزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا فصلى ركعتين ثم قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام. قلت: جعلت فداك، الموضعين الذين صليت فيهما ؟ - قال: موضع رأس الحسين، وموضع منبر القائم عليه السلام. وأشار إلى أن الشيخ نصير الدين محمد بن محمد الطوسي ذكر عن والده عن فضل الله الراوندي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أسرج البغل والحمار وهو بالحيرة، فركب وركبت حتى دخل الجرف ثم نزل فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا فصلى ركعتين ثم سار قليلا فنزل وصلى ركعتين فسألته عن ذلك فقال: الركعتين الأولين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين عليه السلام، والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم عليه السلام.

وعن المعلى بن خنيس قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة فقال: افرشوا لي في الصحراء، ففعل ذلك. ثم قال: يا معلى، قلت: لبيك، قال: ما ترى النجوم ما أحسنها ؟ - إنها أمان لأهل السماء فإذا ذهبت جاء أهل السماء ما يوعدون، ونحن أمان لأهل الأرض فإذا ذهبنا جاء أهل الأرض ما يوعدون . قل لهم: يسرجوا البغل والحمار

---

145 البراقي، تاريخ الكوفة، ص 142 .

ثم قال: اركب البغل ؟ قال: فركبت وركب الحمار، وقال: أمامك، فجئنا الغريين فقال: هما هما ؟ قلت: نعم. قال: خذ يسرة. فمضينا حتى انتهينا إلى موضع فقال لي: انزل: ونزل، وقال: هذا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فصلى وصليت. وهذا ما أشار إليه صفوان الجمال وأورده الشيخ الصدوق[146] .

وفضلا عن ذلك ، فثمة روايات وأحاديث أخرى نقلها رواة ومحدثين تؤكد وتشير إلى استقرار الإمام الصادق (ع) في الكوفة كما هو الحال فيما ذهب إليه احمد بن زياد الهمداني وصولا الى حمزة بن حمران إذ أورد هؤلاء عدة أحاديث أكدت أن الإمام الصادق (ع) كان قد زار جده أمير المؤمنين بمعية ولده إسماعيل وهذا ما ذهب إليه أبان بن تغلب وأبي الفرج السندي وما أورده مبارك الخباز وما أشار اليه الشيخ الكليني وأبن طاووس والمجلسي . وقد أجمع هؤلاء الرواة الثقاة على أن المواضع الثلاث التي صلّى فيها الإمام الصادق (عليه السلام) هي : موضع قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) وموضع رأس الحسين (عليه السلام) في مسجد الحنانة المعروف بالقائم المائل ، الى جانب مقام الإمام المهدي (عجل) . وهناك دلالات عقلانية تشير وتؤكد للمتفحص جزئياتها على أن الإمام الصادق كان قد أقام بالغري بما فيها أداء صلاته في هذا المقام . وقد تكون الروايات عن سياسة خلفاء بني العباس إزاء خصومهم ومعارضيهم وممن لم يرتضي سياستهم المقيتة ، خير شاهد على وجود الأشخاص ممن هم محور موضوعات هذا الجدل القاضي بسكن أو عدم سكن الإمام الصادق في الكوفة . فقيل ان عام (137هـ) شهد تواجد الإمام الصادق في الحيرة ، حين طلبه المنصور ، فسكن النجف في وادي السلام وطلب من أتباعه ، الهجرة إلى جوار مشهد جده أمير المؤمنين عليه السلام فلم تمضِ الاّ سنوات قليلة، حتى أصبحت حولهُ قرية يشار إليها بالبنان[147] .

وفي ذات السنة وصل الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الحيرة، إذ طلبهُ المنصور، ، وقيل أن الموضع الذي سكنهُ لا يزال معلوماً حتى الآن يُزار ويتبرك به الناس ، وكما جاء في تاريخ الطبري في حوادث

146الأمالي للشيخ الصدوق ص 469.

147للمزيد ينظر : تاريخ الكوفة : ص90 ؛ الكافي : 4/ 571 ؛ بحار الانوار 97/ 247

(144هـ)، كما شاهدها عبد الله بن الحسن ومن معهُ، عندما جيء بهم إلى سجن المنصور في الهاشميات عام145 هـ . وقد طلب عبد الله من أهلها نصرته وتخليصه من المنصور[148] .

ومما لا شك فيه أن الآثار ودلالاتها تعد من المصادر الهامة والصحيحة الدالة على وقوع الأحداث التاريخية التي تنص عليها . ولكن من سلبيات هذه المصادر وضعفها ، هو مصادفة ان يكون هناك نظام حكم يتعارض ويتقاطع كليا مع ما ترمز إليه تلك الآثار ورمزيتها والتبرك بها والتردد عليها ، وهذا ما يعده النظام المتقاطع معها ، تجاوزا على شرعية الحكم السائد في حينه ، ومن المؤكد أن من يخالف فلسفة الحكم في إدارة الدولة ، بما فيها منع تفاعل الناس مع أثار الرموز ولا سيما منهم من يعدونهم العدو الأول لهم ، ونعني بهم الرموز العلوية وبالذات الأئمة منهم ، فأن الجدل والاختلاف حول هذا المقام ، ومن شيده ، ومن عني به ، ولماذا لم يتم استمرارية ترميمه وإدامة شكله وبريقه ، كل ذلك يعود إلى سياسة الحكم المستبد في الحيلولة دون اعتياد الناس على زيارة هذه الرموز وبالتالي تكون قبلة للانطلاق لمعارضة الحكم .

ومن اجل ذلك ستأخذ هذه السلطات الإجراءات الصارمة للحيلولة دون استمرارية تلك الزيارات لهذا المقام او ذاك . وبمرور الزمن ولشدة وطأة النظام ينقطع الناس عن الورود لهذا المقام الذي يفل شيئا فشيئا ، لعدم مرور الحياة فيه قسرا ، وبناء على ذلك لم تبق منه سوى ملامح غير واضحة . ومع هذا التصور ، يمكن أن نذهب مذهبا أخر في وقت لا نرفض ما ذهبنا أليه من تفسير اندراس تلك الآثار ، فما بقي فيها من ملامح تكون ناتجة عن أن الإمام الصادق (عليه السلام)، كان في كل مرة يزور الغري ويصلي في مقامه يصطحب من عُلية أصحابه ، فأخذ عنهم رضوان الله عليهم، فتبعهم الشيعة الأمامية سلفا عن خلف، وهذا على الأرجح حال دون اندراس معالمه بالكامل ، وبالخصوص مع إشارة الإمام (عليه السلام) لهم بمنزلة هذا المكان وعلوّه ، فظهر واشتهر كما اشتهر موضع قبر أمير المؤمنين (عليه

---

148 للمزيد ينظر : أضواء على تاريخ النجف ـ كاظم الحلفي عن تاريخ الطبري 9/ 197 ـ مقاتل الطالبين ص156.

السلام) في النجف، وموضع رأس الحسين (عليه السلام) في مسجد الحنانة .

ويبدو واضح أن الوقوف على تاريخية نشوء المقام ، يتم حصر الإشارة اليه بين تاريخين كما ذهب الى ذلك البراقي[149] في تاريخه حين ذكر " وذات مرة كان معه أبان بن تغلب, فكرر الإمام فعله الذي كان يفعله في تعظيم المواضع, وأشار أبان بن تغلب الى موضع منبر القائم (عليه السلام) ومات أبان سنة141هـ, وحين أستشهد الإمام الصادق (عليه السلام) عام (148ه), نشأ المقام بين سنتي (137 - 141هـ) ، وقد وجد أن هذا أول تأريخ تم استخراجه للبحث عن تأريخ مقام الإمام المهدي (عليه السلام) في وادي السلام[150] .

ـ حركة الزمن في رؤية الامام الصادق (ع) :ـ

لقد كان لحركة الزمن وبيان ماهيته آراء عدة ، ووجهات نظر ، بعضها يحتمل القبول وغيرها الرفض . وهذا الأمر بقي متوافرا مع تعاقب الأجيال ، وتغير الملل وسقوط أنظمة وصعود غيرها . وفي كل دورة من تلك الدورات تستمر المتغيرات والثوابت ، الأول خاضع للتغيير القسري ، والثاني يحافظ على خاصية الثبات .

ولأهمية الزمن وخطورة تجاهله ، يرى الإمام الصادق (ع) : أن الزمان غير موجود بذاته ولكنه يكتسب واقعيته وأثره من شعورنا وإحساسنا، وأن الزمان هو حد فاصل بين واقعتين أو وحدتين. وهو يرى أن الليل والنهار ليسا من أسباب تشخيص الزمان ومعرفته، وإنما هما حقيقتان مستقلتان عن الزمان، وليس لهما طول ثابت، فالليل يقصر في الصيف ويطول في الشتاء والنهار على عكسه، ويتعادلان أحياناً. وفي رأي الإمام الصادق أيضاً أن للمكان وجوداً تبعياً لا ذاتياً، وهو يتراءى لنا بالطول والعرض والارتفاع، ولكن وجوده التبعي

---

149 حسون البراقي، (1261 - 1332 هـ / 1845 - 1914 م)، حسين بن أحمد بن الحسين بن إسماعيل الحسني، المنتهي نسبه إلى زيد ابن الإمام الحسن السبط . وهو مؤرخ عامي العبارة.

150البراقي ، حسين بن السيد احمد النجفي : تاريخ الكوفة ، حرره وأضاف إليه: السيد محمد صادق بحر العلوم ، تحقيق: سعيد راد رحيمي ، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة 1987م .

يختلف باختلاف مراحل العمر. ومن ذلك مثلاً أن الطفل الذي يعيش في بيت صغير يرى بخياله وأحلامه أن فضاء البيت ساحة كبرى، ومتى بلغ هذا الطفل العشرين من عمره رأى هذه الدار مكاناً صغيراً جداً، وأدهشه أنه كان يراها واسعة رحيبة في الطفولة)[151]

نظرية انقباض العالم وامتداده :

وللإمام الصادق (ع) نظرية علمية هامة أخرى ، مؤداها أن العوالم الموجودة لا دائم من الأحوال فهي تتسع تارة وتنقبض أخرى. الأمر الذي أكده العلم الحديث الذي توصل إلى أن العالم المحيط بمنظومتنا الشمسية يتمدد ويتسع من جهة ويتقلص وينقبض من جهة أخرى، وأن الاتساع والانقباض يحدثان شيئاً فشيئاً، ففي حين تتباعد الأجرام في جانب من العالم تتقارب في جانب آخر مكونة كتلاً كثيفة، وتنتهي المادة إلى موت حقيقي عندما تصطدم بالأجسام المظلمة الكثيفة وتفقد إلكتروناتها، وتغدو جزءاً من هذه الأجسام المظلمة فتنتهي حركتها. أي أن المادة تنتهي من حيث الظاهر عندما يحدث التقاء بينها وبين الأجسام المظلمة وتبقى نواتها بعد اندماجها بغيرها مفتقرة إلى الكتروناتها، وتتراكم هذه الأجسام المظلمة وتتكاثف بدرجة تزيد بمئات آلاف المليارات عن المواد المتراكمة المعروفة لنا والموجودة في الأرض . وصفوة القول أن علمي الفيزياء والفلك المعاصرين يؤكدان نظرية الإمام الصادق المتعلقة بتعدد العوالم وكثرتها وبانقباضها وتمددها)[152] .

نظرية انعكاس الضوء :-

يرى الإمام الصادق أن الضوء ينعكس من الأجسام على صفحة العين البشرية بسرعة كلمح البصر. أما الأجسام البعيدة فلا ينعكس منها إلا جزء صغير من الضوء ولهذا تتعذر رؤيتها بالوضوح الكافي، فإذا استعنّا بجهاز أو آلة ما لتقريب الضوء إلى العين فيمكن مشاهدة الجسم البعيد بنفس حجمه الحقيقي وبوضوح تام. وقد اهتم (روجر

---

151 : الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص271-285.

(152) للمزيد ينظر يوسف مروة : العلوم الطبيعية في القرآن الكريم ،الدار العربية للموسوعات ، ص153

بيكون)[153] الأستاذ بجامعة أوكسفورد بهذه الطريقة وتوصّل إلى أننا لو استعنّا بما يقرب ضوء الأجسام البعيدة إلى عيوننا لأمكننا مشاهدتها وقد قربت إلينا خمسين مرة عن بعدها الحقيقي. ولولا فرضية الضوء التي أتى بها الإمام الصادق لما تمكن (ليبرشي) عام 1608م من اختراع المجهر الذي استعان به غاليليو عام 1610م لاختراع المجهر الفلكي لرصد انعكاس ضوء الشمس على الكواكب الأخرى، ورصد الأجرام السماوية، الأمر الذي قاد إلى انطلاق عصر النهضة والتجديد في أوربا وأمريكا. ولا تنحصر أهمية نظرية الصادق في قضية انعكاس الضوء من الأجسام إلى العين، ولا بالإشارة إلى إمكانية رؤية الأجسام البعيدة بتقريب ضوئها إلينا فقط، لأن الإمام الصادق قد البحث أشار إلى حركة الضوء وأنها سريعة جداً كلمح البصر. وقد روي عن الإمام الصادق قوله في بعض دروسه أن الضوء القوي الساطع يستطيع تحريك الأجسام الثقيلة وان النور الذي ظهر لموسى على جبل الطور كان من شأنه أن حرّك الجبل بل وجعله دكاً وخر موسى صعقا[154] .
ومن مؤدى هذه الرواية أن الإمام الصادق تنبأ بأساس نظرية (أشعة الليزر). إن الذي قاله الإمام الصادق (ع) عن الضوء وحركته يتفق تماماً مع ما ((أثبته العلمي المعاصر، وغاية ما في الأمر أن العلم الحديث قاس سرعة الأسبوع النادم الضوء - وهي ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة - ولكن هذا المقياس لا يجدي في قياس المسافات الفلكية الشاسعة في الدراسات الفضائية)[155]

) Roger Bacon روچر بيكون
ايلشستر، سومرسيت ، حوالى 1214 - اكسفورد ، محتمل 11 يونيه 1294) ، عُرف بإسم ، و سُمى " بيكون الاول " (قبل فرانسيس Doctor Mirabilis " " المدرس العجيب بيكون). فيلسوف انجليزى و باحث طبيعى ، شغف بالعلوم الطبيعيه و كان يقوم بإجراء تجارب و مشاهدات للظواهر الطبيعيه. مع انه عاش فى فتره قاحله .153 الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ص257-268

155 كما عرفه علماء ، ص259 .

ـ من مؤلفاته (عليه السلام) :

1- رسالته إلى النجاشي والي الأهواز المعروفة برسالة عبد الله بن النجاشي .

2- رسالة له (عليه السلام) في شرائع الدين[156]

3- كتابه توحيد المفضل .

4- كتاب الإهليلجة برواية المفضل بن عمر .

5- كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة منسوب إلى الصادق (عليه السلام) .

6- رسالته إلى أصحابه برواية الشيخ الكليني .

7- رسالته (ع) إلى أصحاب الرأي والقياس .

8- رسالته (عليه السلام) في الغنائم ووجوب الخمس أوردها وما بعدها إلى السادس عشر في تحف العقول .

9- وصيته لعبد الله بن جندب .

10- وصيته لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول .

11- نثر الدرر كما سماه بعض الشيعة .

12- كلامه في وصف المحبة لأهل البيت والتوحيد والايمان والإسلام والكفر والفسق .

13- رسالته في وجوه معايش العباد ووجوه إخراج الأموال جوابا لسؤال من سأله .

14- رسالته في احتجاجه على الصوفية فيما ينهون عنه من طلب الرزق .

15- كلامه في خلق الإنسان وتركيبه .

16- حكمه القصيرة ؛

17 نسخة ذكرها النجاشي في ترجمة محمد بن ميمون الزعفراني .

18- نسخة رواها الفضيل بن عياض عنه (عليه السلام) .

19- نسخة رواها عبد الله بن أبي أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي .

20- نسخة رواها سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي .

21- نسخة رواها إبراهيم بن رجاء الشيباني .

---

156 أوردها الصدوق في الخصال .

22- كتاب يرويه جعفر بن بشير البجلي قال الشيخ في الفهرست له كتاب ينسب إلى جعفر بن محمد رواية علي بن موسى الرضا (عليه السلام) .
23- كتاب رسائله رواه عنه جابر بن حيان الكوفي .
24- تقسيم الرؤيا ؛ في كشف الظنون تقسيم الرؤيا للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

هذا ما عرف من الكتب التي دونت وحدها وعرفت بأسماء مخصوصة ، وإلا فالذي جمع مما رواه عنه العلماء في فنون شتى من فنون العلم في الكلام والتوحيد وسائر أصول الدين والفقه وأصول الفقه والطب والاحتجاج والحكم والمواعظ والآداب وغير ذلك لا يكاد يحيط به الحصر وتكفلت بجمعه كتب الأخبار والأحاديث .

العلوم التجريبية في مدرسة الإمام الباقر (عليه السلام) :-

مر بنا ان الإمام الباقر (عليه السلام) كان يُعني في مدرسته بتدريس علوم أخرى عدا القرآن والحديث، كالتاريخ والجغرافيا والطب. أما في ما يتعلق بالطب، فهناك روايتان مختلفتان، تذهب الاولى إلى تأكيد تدريسه له، في حين أن الثانية تنسب تدريسه إلى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام). وأياً كان الأمر، فليس ثمة شك في أن جعفراً الصادق (عليه السلام) كان ملماً بالطب، وكان يلقي دروساً فيه ، أفاد منها كثير من الأطباء والباحثين والمرضى في القرنين الثالث والرابع . ومن نظرياته التي انتفع بها الأطباء في عصره وبعد وفاته،رأيه في إمكان تنشيط الدورة الدموية عند حدوث سكتة مفاجئة أو توقف مؤقت . وقد أثبت صحة هذه النظرية القائلة حدثت في أيام هارون الرشيد، الخليفة العباسي، ومع ما أوردناه من الروايات التي تشير الى حالات مرضية شفي منها أصحابها من خلال التطبب على يد الإمام الصادق (ع) . ومع ان الواقع يتطلب الشواهد والدلائل على صحة ما تذهب اليه تلك الروايات بخصوص مهارة الإمام الصادق الطبية ، وهو أمر صحيح منهجيا بل وملزم ، إلا أننا يجب ان لا ننسى من هو الإمام الصادق أو هل هو رجل عابر في محطات السبيل ، أم أن تاريخ أسرته شهد لها التاريخ بأحداثه ووقائعه ، وبما تؤكده من انه

سليل أسرة علمية وفقهية وإنسانية بمعنى الكلمة . امتازت بالعلم وتأدبت بأحسن الاداب وتفننت في رسم صورة لآل البيت بتدخل العناية الإلهية ، بحيث لا يمكن لبني البشر العاديين ان يصلوا الى مستوى ما كان عليه رجال هذه الأسرة الفاضلة . ويمكن القول ان تتلمذ الإمام الصادق في مدرسة والده الإمام الباقر ، كانت بداية اطلاعه على الطب وتعلم جوانبه المتعدده . وكانت مدرسة الإمام الباقر (عليه السلام) في الطب أول مدرسة تؤسّس في الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ولم تكن للعرب يومذاك عناية بالعلاج أو الوقاية، فمن اجتاز منهم أمراض الطفولة قلّ أن يمرض طول حياته، نظراً لصلابة أجسامهم وقوة احتمالهم لقساوة البيئة في البادية، فإن مرض في كبره، تركوه عند الآلهة حتى يشفى أو يموت. واذا ما كانت القواعد الطبية متشابهة في مختلف المدارس ، فما تشير اليه المصادر ان طب الإمام الصادق كان غير مألوف في المدارس الأخرى ، وهذا ما يشير الى ان الإمام الصادق قد استنبط مفاهيمه للطب وموضوعاته .

وإذا ما كنا بحاجة للشواهد على طب الإمام الصادق ، فمن غير شك ان إشادة وإشارة بعض الأطباء الأجانب بطب الإمام ، يحمل أمرين ، أولهما أن مخرجات طب الإمام الصادق ، هي مخرجات عالمية ، والمحور الثاني ، أن تلك المخرجات العالمية لطب الإمام الصادق ، دلالة وخير شاهد على صدق انتماء هذا الطب لصاحبه الإمام الصادق . ومن بين أولئك الأطباء الأجانب ممن أشاد بجهود الإمام (ع) الطبية ، نذكر

1- جبرائيل بن بختيشوع من أسرة أطباء أصلحهم من جنديسابور
2- بروكلمان في كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية " ج1 ص 202 ،

واذا كان لكلام القائد او المنظر او المفكر من تأثير على شخصيته ووزنه في المجتمع ، فأن للإمام الصادق حكم ومواعظ ، تشعر الآخر بحيويتها وصدق دلالاتها . ومن بين تلك الأقوال ما يلي :-

- الوضوء قبل الطعام سُنة .
- غسل الإناء وكسح الفناء مجلبة للرزق .
- من سعادة المرء حسن مجلسه وسعة فنائه ونظافة موضعه .

من الحكم أعلاه يتضح بجلاء تأكيد الإمام(ع) على النظافة العامة والخاصة للفرد أي بمعنى أوضح نظافة بدنه وملبسه ومسكنه ومأكله . ومعلوم لدى الجميع مدى أهمية ذلك إذ إن الالتزام بالشروط والإرشادات الصحية المتعلقة بالنظافة يقينا الكثير من الإصابة بالأمراض الانتقالية المعدية كالتايفوئيد والدزنتريا وحالات التسمم الغذائي الشائعة وبتأكيده على سعة الفناء أي بمعنى المساحة الواسعة والكافية لمكان المعيشة يذكرنا بأهم الوسائل الوقائية لتفادي الإصابة بالأمراض النفسية وفي مقدمتها الاكتئاب[157] .

والى ذلك، قال(ع) :إن أحب الأصباغ إلى رسول الله الخل والزيت قـــد

ثبتت البحوث الطبية ما للخل وخصوصاخل التفاح من تأثيرات فعالة لأ ذابة الدهن الثقيلة .إضافةً إلى إحتوائه على مجموعة من الفيتامينات المفيدة. وله خاصية هامة ألا وهي كونه مطهر ومعقم قاتل للجراثيم والفطريات . أما الزيت ففوائده متعددة ويتميز كونه يحتوي على نسبة قليلة من الكولسترول الضار وإنه إقل ضرراً بكثير مقارنة مع باقي الشحوم .

وقال(ع) : من أكل لقمة من شحم أنزلت مثلها من الداء .

معلوم لدى الجميع ما تسببه الدهون الحيوانية المشبعة من أضرار ومـ خاطر صحية لما تحويه مننسب عالية من الكولسترول غير الحميد .

وسأل أحدهم الإمام (ع) ما هو الماء ؟ فأجاب هو طعم الحياة .

وقال(ع) : لو جعل الله في شئ شفاء أكثر من الشعير لما جعله غذاء الأنبيـــاء .

ان للشعير فوائد جمة لا يسع المجال لسردها بالتفصيل ولكن أهمها لا للحصر إن

الشـــــــــــــعير يتضـــــــــــــمن قلـــــــــــــيلا مـــــــــــــن

السعرات الحرارية فهو بذلك نافع لمرضى داء السكري وللمصابين بالبـ دانة , كما إن احتوائه على نسبة عالية من مجموعة فيتامين (ب) والمفيدة لسلامة الأعصاب المحيطية يجعله العلاج

---

157 متاح على الموقع :
http://www.islamkutuphanesi.com/arabic_arapca/arabiconline/al-kafi/al-kafi-6/249.html

الفعال للوقاية من الكثير من تلك الأمراض . إن الشعير الغني بالنخالة والألياف غذاء فعال ومفيد ومساعد على تليين الفضلات الغذائية وبالتالي الوقاية من الإصابة بالإمساك الذي يعد من أهم أسباب الإصابة بالبواسير[158] .

وأخيراً قوله(ع)

- السواك من سنن الأنبياء .

- تخللوا على أثر الطعام فإنه مصحة للفم والنواجذ

والسواك هو قطع صغيرة من أغصان شجر الأورك ذات الطعم والنكهة الزكية وقد أثبت العلم

الحديث لما للسواك من أهمية في تطييب رائحة الفم وتبييض الأسنان وتنظيف اللثة وتقويتها كماإنه يسكن ألام الأسنان ويطهر تجويف الفم من الميكروبات والسواك مجلاة للبصر ومقوي للذاكرة[159] .أما الأدواء التي جاء العلاج لها مرويا عن الامام الصادق (ع) ، فقد ورد الكثير منها في كتاب " طب الأئمة " و" البحار " وغيرهما من كتب الاحاديث والاخبار . وقد انتقينا نماذج من تلك الادواء للتدليل على ما ذهبنا إليه :-

1- السعال

2- السل .

3- الزكام .

4- الأرياح .

5- وجع المثانة والحصاة .

6- أوجاع المفاصل .

7- سلس البول .

8- عرق النسا .

9- الاسهال .

10- الجروح والقروح .

11- وجع البطن .

12- الجدري .

---

158 طب الأئمة : المصدر السابق .

159 متاح على الموقع :http://mawdoo3.com/%

13- البواسير .
14- طغيان البلغم .
15- اليبوسة.
16- وجع الظهر .
17- كثرة العطش .
18- السموم .
19- السموم .
20 - الوباء.[160]
21 - الجذام.
22 - البرص .
23 - البهق .
24 - البلة والرطوبة .
25 - الفالج .
26 - اللقوة .
27 - خفقان الفؤاد .
28 - وجع الطحال والخاصرة .
29 - ذات الجنب .
30 - الرمد[161] .
31 - الصداع .
32 - السل في العين .
33 - وجع الرجلين (الروماطيسم)
34 - ضعف الباه.
35 - لدغة العقرب والهوام .
36 - الحمى .
37 - وجع الاذن .
38 - الجنون والصرع .
39 - علل الفم والأسنان .
40 - دود البطن .

---

160 طب الإمام الصادق (عليه السلام) ، ص51 .
161 للمزيد ينظر الموقع :- http://www.basrahcity.net/pather/book/aam/teb-

41 - الزحير (الديزانتري)
42 - ساير الحميات .
وهناك **الأدوية التي وصفها في الأمراض المذكورة[162] ، وغيرها مما تنم عن تخصصه بفن الصنعة وتضلعه فيه ولو جمعت تلكم الكلم لتأتى منها كتاب حافل ، كما في الأدوية التالية :**
1 - الحبة السوداء .
2 - البنفسج .
3 - الكمأة .
4 - الفلفل الأبيض .
5 - دار فلفل .
6 - النشادر .
7 - الصبر .
8 - الكافور .
9 - المر .
10 - الكاشم .
11 - الأرز .
12 - السماق .

13 - الكمون.
14 - الجاورس(الذرة . (
15 - السكر .
16 - حسو اللبن.
17 - أبوال اللقاح.
18 - الكندس .
19 - العنبر.
20 - الزئبق.
21 - اهليلج الأسود .
22 - البليلج .
23 - الآملج.

---

162 بحار الأنوار ج 14ص 509 - 534 - 90 .

24 - الخل .
25 - الدارصين .
26 - الزنجبيل.
27 - الشقاقل.
28 - الانيسون [163].
29 - الخولجان .
30 - الوج .
31 - الكراث .
32 - الجوز .
33 - الجبن.
34 - دهن الشيرج .
35 - الهندباء .
36 - السنا.
37 - الزبيب.
38 - العناب.
39 - بزر القطونا.
40 - الحرمل.
41 - اللبان.
42 - الاشنان.
43 - الأهليلج الأصفر.
44 - الأهليج الكابلي.
45 - السكر السليماني.
46 - البابونج.
47 - السلق.
48 - الكرنب.
49 - الشلجم.
50 - القرع أو الدبا.
51 - الفجل.

---

163 متاح على الموقع :-http://www.basrahcity.net/pather/book/aam/teb-sadeq/03.htm

52 - الرجلة.
53 - الجرجير.
54 - الخس .
55 - الكرفس.
56 - السداب.
57 - الحزاء.
59 - البصل.
60 - الباقلاء.
61 - الحوك.
62 - الباذروج.
63 - الفرفخ.
64 - الجزر.
65 - الحلبة.
66 - عود البلسان وحبه.
67 - علك الرومي.
68 - نار مشك.
69 - سليخة مقشرة[164].

أضف إلى ذلك كله ما ورد عنه عليه السلام في الفواكه والحبوب والألبان والأدهان والأشربة والاستشفاء بها . ومن أقواله (عليه السلام) في خواص بعض النباتات :

من البديهي جدا التسليم بأمر اذا ما توفرت الدلائل بشأنه . فما مر بنا من إشارات تؤكد معرفة الإمام الصادق بفوائد ومضار الكثير من النباتات[165] . على أن تقدم الفكر البشري والسعي وراء طلب الحقيقة ، لابد وأن يصلا بالباحث من ذوي العقول السليمة ، والافكار الصافية إلى كنه بعض ما أودع الخالق الحكيم في تلك النباتات الطبيعية من المنافع والآثار التي ما خلقت إلا لأجل الانسان ، فإذا ما غفل أولئك الفطاحل من العلماء والأطباء عن ذكر فوائدها أو ذهل المجربون عن

---

164 طب الإمام الصادق (عليه السلام) ص55 .

165 راجع وسائل الشيعة للحر العاملي ج 2 ص 281 - 312 ؛ مستدرك الوسائل للنوري ج 2 ص 99 - 125 .

إستعمالها في مواضعها طيلة هذه المدة المديدة فان علماء القرآن وأئمة الدين الحنيف لم يغفلوها ، بل ذكروا من فوائدها وخواصها ما ملأ الكتب ، واستفاضت بها الأحاديث الصحيحة المروية عنهم، ويكفي أن ينظر المرء إلى كتاب (طب الأئمة) و(طب النبي « ص ») و (طب الرضا) و (كتاب كشف الأخطار) و كتاب (البحار) وغيرها من الكتب التي تجد فيها ما يغنيك ويغنينا عن الإطالة في هذا المقام

. ولكي لا نخرج عن موضوعتنا ، وهو البحث عن طب الإمام الصادق (عليه السلام) فلا بأس من ذكر بعض أقواله الطبية وإرشاداته الصحية في النباتات التي لم يدرك الأطباء منافعها إلا بعد ردح من الزمن . ثم نرجئ باقي أقواله الكثيرة فيها إلى مفصلات الكتب طلباً للاختصار . وإليك بعضا مع ذكر أقوال الأطباء المطابقة لها في هذا العصر كنموذج لها الثوم قال الإمام (عليه السلام) : تداووا بالثوم ولكن لا تخرجوا إلى المسجد[166] .وقال (عليه السلام) : قال النبي (ص) : كلوا الثوم فانه شفاء من سبعين داء

وبالجملة فقد ثبت في الطب الحديث : أن الثوم منشط للعضلات القلبية وبهذا التنشيط تنتظم الدورة الدموية ، وغير ذلك مما يتفق وما اشار اليه الإمام الصادق (ع) . وأكد ايضا على فوائد أكل البصل ، بما اشارت اليه الكتب الحديثة عن تلك المعلومات ، وما ساقه العديد من الأطباء الكبار من فوائد البصل وضرورة تناوله . وقد قال الإمام عليه السلام قبل إثنى عشر قرناً : كل الفجل فان فيه ثلاث خصال ، ورقه يطرد الرياح ولبه يسهل البول ويهضم وأصوله تقطع البلغم وله فيه أقوال كثيرة بهذا المضمون. أما عن خواص السكر النباتي ، فقد قال الأطباء في خواصه : الجزر يحتوي على مقدار واف من السكر النباتي وهو سريع التمثل ، عسر الهضم في معد الأطفال ، عصيره يفيد اليرقان ويكون مع أولياء الله .

وتطرق لفوائد العسل ، مؤكدا أنه مقوياً للباه كما أنه يفيد في علاج الأمعاء ويوصف للمصابين بضيق الصدر ومرض الأعصاب ، ويساعد في نمو الأجسام في سن الطفولة ، ويزيل الرمل ، ويقضي على

---

166 البحار ج 14

الديدان إذا أكل غير مطبوخ ويزيد الدم وينشطه في البدن إلى غير ذلك من الخواص التى أدركها الطب اليوم .

وقال الإمام (عليه السلام) في حديث روي عنه أن الجزر أمان من القولنج ومفيد للبواسير ومعين على الجماع وعنه (عليه السلام) : أكل الجزر يسخن الكليتين ويقيم الذكر . أما عن تناول فاكهة العنب ، قال الإمام (عليه السلام): العنب (الزبيب) يشد العصب ويذهب النصب ويطيب النفس . وقال (عليه السلام) : شكا نبي من الأنبياء إلى الله تعالى الغم ، فأمره بأكل العنب ، وفي لفظ أن نوحاً شكا إلى الله الغم فأوحى إليه أن كل العنب[167] .

وقال الاطباء : إن للعنب فعلاً ثلاثياً ، فهو مسهل المعدة ، ومنق للدم ومغذ للبدن ، وعصيره مجدد للقوى ومنبه للدورة الدموية ومفيد للتخمرات المعدية ، ونافع في مداواة الكبد والكليتين ، ويشفي من داء الحميات ، وإن المداواة به تفيد في الدسيبيسيا (سوء الهاضمة) والنقرس وأمراض القلب والصفراء والريح والبواسير ، ويخفف من وطأة السل والسرطان . ويقول علماء الطب الكيمياوي : إنه ينشط عصارة الببسين في المعدة وينفع الطحال واحتقان النخاع ، وفيه شيء من الارسنيك (مستحضر من سم الغاز) به يجمل الوجه والبشرة ، وعلى هذا قد يفيد المصابين بالزهري (السفليس) والسل والسرطان[168].

وأشار فضلا عن ذلك ، إلى فوائد أكل التفاح والرمان وما يتمخض عن ذلك من فوائد جمة لا تقل أهمية عما أشار إليه الطب الحديث من أثر تناول هذه الفاكهة في تهيئة الجسم السليم[169] . وهذا الأمر من الذكر ينسحب على فوائد أكل التين الذي ذكره الله فضلا عن فاكهة أخرى في محكم كتابه الكريم .وكذا الحال بالنسبة إلى تناول السفرجل وما يضيفه من فوائد كثيرة ملحة تغني الإنسان عن كثير من العلاج بتناول الأدوية . وقد

167.ابن الصباغ المالكي : الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ج2، دار الأضواء ، بيروت ، ط 2، 1988، ص907 .

168شمس الدين محمد الحسيني الأحساوي : كشف الأخطار في طب الأئمة الأطهارللسيد:نقلا عن أقا بزرك الطهراني" الذريعة الى تصانيف الشيعة" : دار الأضواء ، ص9 .

169 للمزيد عن هذا الموضوع يراجع كتاب الوسائل ـ 299 .

اشار الطب الحديث بالمقابل الى فوائد تلك المواد تماما وما اشار إليه الإمام الصادق (ع)[170] .
ولعل من اهم المواد الغذائية قاطبة ، هو ثمرة التمر ، وما أدهاها تلك الثمرة من خلال ما اشار اليها الإمام الصادق من علاج مجدٍ لكثير من الأمور التي يخال للمرء انه مرض مستعص ، أو انه على بساطته ليس من المعروف والشائع ، وفجأة نلقى العلاج شاخصا في بضعة ثمرات من التمر . وقد ساقها الله تعالى لعباده بوصفها نعمة من نعم كثيرة لا يمكن إحصائها سخرها للإنسان . وبهذا الخصوص قال الأطباء عن تلك الثمرة العجيبة التي بدت وكأنها خزانة دواء لداء ليس له علاج .:ـ إن في التمر فوائد طبية كثيرة ، فهو يسخن البدن ويخصبه ويولد دماً غليظاً صالحاً ، وأن نقع في الحليب نفع من ضعف الباه . وتطرق (ع) الى فوائد أكل الخس ، وقال فيه الشيء الكثير من الفوائد الجمة ، منوها بأهميتها لإمراض خاصة ، شاء الطب الحديث أن يؤكد المشتركات بين ما قاله الإمام وما أشار إليه الطب الحديث بهذا الخصوص .
وفي محل أخر من عنايته (ع) بالطب والتطبب ، أكد على ضرورة امتناع الإنسان عن تناول ما لا تشتهيه نفسه ، مبررا ذلك بأن هذا السلوك من شأنه أن يورث الحماقة والبله ، ووجد أن خير ما يرتجى من الغذاء لجسد الإنسان هو تناول هذا الغذاء حين الجوع والرغبة بالأكل .
ومن الواضح أن الإمام في قوله : "فكل حلالاً وسم بالله "، فهو يدرك ان للعامل النفسي الأهمية الكبرى في جعل تناول الطعام مفيدا من عدمه . لان الاطمئنان النفسي والسكون القلبي ، بهما تستقر النفوس وترتاح القلوب ، وهذه الحالة بالتأكيد هي من مخرجات الرزق الحلال ، وهو بخلاف الحرام الذي يضطرب منه القلب ويفلق الروح ، لذلك عالج الإمام (عليه السلام) أو بالأحرى انه يرى أن حفظ الصحة يكون بهذه الوصية الروحية وإنهاض العقيدة الساكنة[171] .

170شمس الدين الأحساوي : المصدر السابق ، ص16 ، هذه الصحوة من الكوت ، بالاشتراك يرمح جاردوه يا بالحمان وةنلار
171 البحار ج 1 وفي الكنى والألقاب للقمي في ترجمة البصري .

ومما لا شك فيه من الواضح إن قول الإمام بعدم تناول ما تشتهيه نفسه يحمل أمورا غريبة على الواقع المعاش . فتناول الطعام غير المرغوب ، وفي غير محله فأن الفاعل سيبتلى بأحلام وكوابيس غير مؤهله ، بل وقد تحصل له خيالات فاسدة وأفكار مشوشة ، وهذا هو ما أراده الإمام (عليه السلام) بقوله الحمق والبلاهة أيضاً . أما كلامه : كل داء من التخمة إلا الحمى ، فأنها ترد ورودا ، فأن الإمام (ع) أراد أن يفهم المرء أن كل داء هو بسبب التخمة ، في حين ان الحمى ترد وروداً أي تعرض على البدن من الخارج لأن الجراثيم تدخل البدن من الهواء ومن الماء ومن كلما يرد إلى البدن من حاملات الميكروب .
وكان من آثار الإمام جعفر الصادق (ع) هو كتابه " توحيد المفضَّل " ذلك الكتاب القيّم الذي أملاه الإمام جعفر الصادق عليه السلام على تلميذه النابه المفضَّل بن عمر، فدوّنه ولم يبلغ أبعاده، لكنّه نقله ورواه ووضعه أمام الأبصار والبصائر، كان بمثابة زخم للاتجاه إلى الإمام استنادا على ما تضمنه من موضوعات غاية في الأهمية حاكى فيه العقول والضمائر، ليبلغوا به درجات الإيمان والمعرفة، ثمّ ليعلموا أنّ العلم الحقيقي إنما هو عند بيت الوحي والرسالة ، وإذا ما غمطت منجزات الإمام الصادق بفعل فاعل طوال قرون من الزمن ، فأن النهضة الفكرية في الغرب المسيحي كان لها الدور الأمثل في شيوع ملامح تلك النهضة الى داخل بلاد ما بين النهرين ، وبالتالي فأن العلماء في الغرب كانوا قد تبنوا فكرة الكشف عن علوم الإمام الصادق ، فكان لهم من جراء ذلك ، أن عمدوا إلى تأسيس مراكز للدراسات الإسلامية للإحاطة بالتراث الإسلامي المضيع ، بوصفه جزء حيوي من تاريخ المعمورة . ومن ذلك برزت دراسات رصينة لمآثر الإمام الصادق (ع) .

ـ كتب تتحدث عن قيمة وأهمية الإمام الصادق (ع) :

وعلى وفق ما كان للأمام من تراث عالمي ، لا سيما بعد ذيوع صيته بسبب عناية العلماء الغربيين بتراثه وعلومه وما كان عليه من عطاء في كافة مجالات العلوم المختلفة ، فقد أشار إليه بعض المؤرخين والمفكرين الغربيين والشرقيين على حد سواء مطريين

عليه ومشيدين على عطائه الثر . فقد قال الأديب سليمان كتاني: إنّ العقل الذي تمسّح به الإمام الصادق، هو من الصنف الفريد الهابط من الشوق الفريد المتحلّي بإرادةٍ جليلةٍ ملتهبةٍ بالحق والعزم وروعات القضيّة، إنّه التوجيه الخارق مسح به الإمام زين العابدين عقل حفيده الإمام جعفر الصادق... إنّه لا يجوز للإمام الصادق إلاّ أن يبقى حيّاً، كما وأنّ كلَّ ما هو حقٌ وخيرٌ ومَنبتُ علمٍ لا يجوز أن يصمت ويغفو.. وإلاّ فإنّ الدنيا كلّها ستخسر قيمة الجوهر[172].

وقد كتبت موضوعات عديدة بحق الإمام الصادق أودعها صاحب الكتاب " الإمام الصادق ضمير المعادلات " في كتابه بما فيها :-

- المـلامح العلميّ لشخصيّة الإمام الصادق عليه السلام، علم الفلك.
- جامعة الإمام المثلّثة.. جامعة كبرى.
- الإمام الصادق عليه السلام مُلهِم الكيمياء.. أهميّة الكيمياء، عناصر علم الكيمياء، ترجمة جابر بن حيّان، أعمال جابر بن حيّان...
- من هو أوّل من اكتشف الأوكسجين ؟!
- نظرية الصادق عليه السلام بشأن أشعّة النجوم.
- نظريّة الإمام الصادق عليه السلام في الضوء.
- النور في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
- الكون كتاب الله المنظور، تقدير الخَلْق في علم الله تعالى، نظرية نشوء الكون عند الإمام الصادق عليه السلام، الانفجار الكوني.
- البُعد الزمني في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
- نسبيّة الزمن عند الإمام الصادق عليه السلام.
- القمر في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
- بحوث حول: الشمس، السماء..

الماء عند الإمام الصادق عليه السلام.

- طبيعة الأرض في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
- الزلازل في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
- الأمطار في كلام الإمام الصادق عليه السلام.
- أبحاث في: عمليّة التبخّر، الهواء، الرياح، البحار، المآرب.

172كتاني ، سليمان : الإمام الصادق ضمير المعادلات:116 و 156 - ط دار الهادي .

والى جانب ذلك ، فهناك جوانب عديدة تطرق اليها الكتاب ، تنوعت ما بين الموضوعات العقائدية والفكريّة والعلميّة، ومنها دراسات تخصّصيّة، مشفوعةً بشواهد تاريخيّة وروائيّة، ونظريّات حديثة في مجالاتٍ متعدّدةٍ مواكبةٍ لما ورد من إشارات معرفيّة في حديث الإمام الصادق عليه السلام للمفضَّل بن عمر، وقد جاء حديثه عليه السلام كتاباً علميّاً يردّ على تشكيكات الدهريّين وضلالاتهم، محتوياً على حِكَمٍ وأسرار وعلومٍ شتّى أخرست المتشدّقين بالعلم وألجمَتْهم، وثبّتت لأهل الإيمان وسائلَ الاحتجاج العلمي وأساليبَه المُبرهَنة ودلائلَه المحكمة.
ما تكفّل بها هذا الكتاب، منها: عقائديّة، وأخرى فكرية ، وإذا كان كتاب (الإعجاز العلميّ للإمام الصادق عليه السلام) كتاباً نافعاً، فقد سبقه (كتاب فكّر - المعروف بـ: توحيد المفضل، وبذيله شروح وتعليقات العلاّمة المجلسي، بتحقيق: الشيخ قيس العطّار، ونشر مكتبة العلاّمة المجلسي - ط 1 سنة 1427 هـ)، فيكون الكتابان متكاملَين مع بعضهما في المقدّمات والتحقيقات والعناوين والبيانات[173].
الإعجاز العلمي عند الإمام الصادق عليه السلام .
- في علمية الإمام الصادق :-
لقد انبرى الإمام الصادق(ع) في استكشاف الكثير من الحقائق العلمية والمعارف ومنها :
1- فرضية علمية هي :"أن الأرض ليست عنصراً بسيطاً."
2- أن الهواء ليس عنصراً بسيطاً وأن فيه جزءاً يساعد على الاحتراق ويحدث الصدأ في المعادن الصلبة. وبعد اثنتي عشر قرناً أثبتت هذه الحقائق بالتمحيص العلمي.
3- وكان الإمام الصادق (ع) يقول:"إن لله خلائق أخرى تعيش في الكواكب والسماوات الشاهقة وهي تسبح لله بلغة لا نعرفها ولعلها تكلمنا ولا نعرف لغتها.."و كذلك قوله عليه السلام :"يا أبا حمزة هذه قبة أبينا آدم قد سواها الله تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين."

---

173 ينظر : ابراهيم سرور : الإعجاز العلمي عند الامام الصادق (ع) ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1436هـ . وللمزيد يراجع الموقع :
https://www.imamreza.net/old/arb/imamreza.php?id=3156

وممكن مراجعة كتاب (الهيئة والإسلام) للسيد هبة الدين الحسيني المتخصص في هذا المجال.وفي عام 1920 م أعلن العالم الايطالي (ماركوتي) الذي عني باختراع اللاسلكي ، أعلن هذا العالم في لقاء له بضباط البحرية الايطالية أنه يتلقى من على باخرته إشارات ورموز يُشك في أنها مرسلة من كائنات ذكية فنانة تريد الاتصال بالكائنات على الكرة الأرضية.

4- يقول الإمام الصادق (ع):" أن جسم الإنسان يتألف من نفس العناصر الموجودة في الأرض ولكن بنسبٍ متفاوتة .."[174]

هذه النظريات التي إستنبطها الإمام الصادق (ع) هي في المنظور ترتبط بعلم الإمامة لا بعلم البشر أما علماء الغرب فيقولون أنه رجل ذكي سابق لزمانه ولكن .. هل إن الرجل الذكي يسبق زمانه أكثر من ألف عام؟؟إن من العسير التوصل إلى مثل هذه الحقائق العلمية بدون مختبرات علمية عصرية ... فالعباقرة أقدر من سواهم على استنباط ما تعجز عنه العقول لأن عيونهم تخترق الظلمات وترى ما لا يراه غيرهم من المبصرين ... وثمة نظرية تقول :

"إن المعارفَ والمعلومات كامنة في الشعور الباطني للناس جميعاً ولكن هناك حجاباً يحولوا دون إدراك الشعور الظاهري لما هو كامن في الشعور الباطني غير المحدود .. فإن استعصى على الإنسان العادي أن ينتفع بهذه الذخيرة المدخرة في باطنه فإن العباقرة قادرون على النفاذ إلى الباطن واستنباط ما هو مدخر فيه من معلومات ومعارف كامنة." في هذا الخصوص ، يقول أحد فلاسفة القرن العشرين (هنري برجسون)[175] 1941 م :" إن الذرة وجدت منذ بدء الخليفة واجتمعت

- وانظر الكوثر http://www.alkawthartv.com/news/122485 متاح على الموقع "174 : مجلة " الثلاثاء 13 فبراير 2018 ح

[175] يعد Henri Bergsonهنري برغسون (18 أكتوبر 4 - 1859 يناير1941)، فيلسوف فر حصل على جائزة نوبل للآداب عام1927 .يعتبر هنري برغسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعا وعميقا فقد اذاع لونا من التفكير وأسلوبا من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات ولقد حاول أن ينفذ القيم التي اطاحها المذهب المادينسي .، ويؤكد ايمانا لا يتزعزع بالروح. حظي ابان حياته بشهرة واسعة الانتشار في فرنسا تؤثر في دوائر مختلفة: فلسفية ودينية وادبية حدث له العكس تماما بعد وفاته إذ حدث انصراف تام أو شبه تام عن فلسفته حتى صارت تقبع في ظلال النسيان ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم خصوصا وقد

فيها جميع المعلومات المختلفة وإن خلايا الجسم الموجودة في الكائن الحي أحرى بأن تنطوي على جميع المعلومات الخاصة بهذا العالم منذ بداية الخليفة وإلى يومنا هذا."
و سبق الإمام علي (ع)هذا الفيلسوف بقوله: "أتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر."
أما ما قاله الإمام الصادق (ع) في علم التشريح فيكتب له بين المعاصرين من المشتغلين بعلم الأحياء بدرجة عظيمة. فقد قال الإمام الصادق (ع) : وإن العناصر الموجودة في الأرض وعددها (102) مئة وإثنان موجودة في جسم الإنسان بدرجات متفاوتة ... " وربما يقال بأن الإمام الصادق لم يأت بإعجاز فكري في هذا الموضوع لأن القرآن يقول: إن الإنسان خلق من تراب هذه الأرض بقوله تعالى:{منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى}[176]
وقوله تعالى:{والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا}[177](طه – 55) نعم ولكن نبوغ الإمام الصادق(ع) يتجلى في أنه قسّم هذه العناصر المكونة للجسم إلى ثلاثة أقسام أثبتها العلم في عصرنا هذا.
1- أربعة توجد في جسم الإنسان بوفرة هي :
(الأوكسجين – الكربون – الهيدروجين – النتروجين)
2- وثمانية عناصر توجد في جسم الانسان بكمية ضئيلة هي:
(السيلينيوم- الفلور – الكوبلت – المنغنيز – اليود – النحاس – الرصاص -الخارصين)
أما العناصر الثمانية التي توجد في جسم الانسان بكمية أكبر هي :
3-(المغنسيوم – الصوديوم – البوتاسيوم – الكالسيوم – الفوسفور – الكلور – الكبريت – الحديد) . وقد تأكد أن تقسيم العناصر الموجودة في جسم الإنسان والنسب الخاصة بكل منها تتفق فيها آراء الإمام الصادق (ع) مع التجارب التي أجريت في المراكز العلمية في دول

أكتسحتها الوجودية تماما. للمزيد ينظر : - ج.ينروبي، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسة، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، **دار النهضة العربية ، 1967 ، ص112**

176طه / 17 -18
177طه/55

العالم كله وعلى سبيل المثال والتوضيح نذكر أن الإنسان الذي يزن(45) مثلاً يحتوي جسمه على كيلوغرام واحد من الكربون وهو عنصر من العناصر الأربعة التي توجد في الجسم بوفرة. كذلك يوجد في جسم الإنسان 5.4 كغم من الهيدروجين متى كان سليماً ومتى مرض نقصت كمية الهيدروجين[178].

وتتساوى مقادير العناصر الأربعة وهي:

الأكسجين – الكربون – الهيدروجين – النيتروجين في أجسام الناس جميعاً .. وتتساوى نسب العناصر الثمانية الضئيلة تلو المتوسطة في جسم الإنسان أينما كان ولا فرق بين اثنين في هذا إذا ما تساويا في الوزن والعمر. وجاءت التجارب العلمية التي أجريت في فترة تربو على مائة وخمسين عاماً تؤكد النظرية التي أتى بها الإمام الصادق (ع) في هذا المجال[179].

ـ ما قاله العلماء والمؤرخون في فضائل الإمام (ع) :

من الواضح أن الإمام الصادق (ع) كان مدركا لما يطبخ لأسرته العلوية من مؤامرات موثوقة . وبهذا الشأن قال الإمام مالك بن أنس : ((كنت أدخل على الإمام جعفر الصادق ،. فوجدته لا يخلو من ثلاث خصال : إما صائما ، وإما قائما ، وإما ذاكرا))180.

أما الإمام مالك بن أنس فقد قال : ((ما رأت عين وما سمعت أذن ، ولا خطر على قلب بشر ، أفضل من جعفر بن محمد الصادق فضلا وعلما وعبادة وورعا .))181 .

في حين أن الإمام أبو حنيفة فقال عن الإمام الصادق (ع) ((ما رأيت أفقه من الإمام جعفر بن محمد الصادق))182 وقال ((لولا جعفر بن

---

178 للمزيد عن هذا الموضوع ينظر : الشهرستاني ، هبة الله : الهيئة والإسلام ، النجف ، 1909

179الشهرستاني ، هبه : الهيئة والإسلام ، ص64.

180الميلاني ، محمد هادي الحسيني : قادتنا كيف نعرفهم ، الجزء الرابع ، تحقيق علي الميلاني ، قم ، 1426 هـ ، ص87.

181الامام الحافظ ابن شهرآشوب شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (ت سنة 588 هـ): مناقب آل أبي طالب ، تحقيق مجموعة من أساتذة الحوزة في النجف الاشرف ، ج4، مطبوعات المكتبة الحيدرية ، 1956، ص248.

182تذكرة الحفاظ : ج1، ص166 .

محمد ما علم الناس مناسك حجهم .))183 . وجاء على لسان رجل ملحد اسمه (أبن أبي العوجاء)[184]: ما هذا - يقصد الإمام الصادق - بشرا وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ويتروح إذا شاء[185] .

أما الجاحظ صاحب كتاب الحيوان فقال ((جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ويقال أن أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري))186 .

وتنسحب هذه الإشادات على بعض المؤلفين والمؤرخين كما في قول الشهرستاني ((أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، رجل عالم غزير العلم في الدين وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات))187 . فيما قال أبن حجر العسقلاني : وخلف محمد بن علي ستة أولاد أفضلهم وأكملهم جعفر الصادق))188 . وقال ابن الصباغ المالكي واصفا فضيلة الإمام في العلوم بقوله ((وقد نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته وذكره فيساير البلدان ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه في الحديث))189 . وفي ذات السياق ، أشار البستاني : ((جعفر الصادق ، يعد من سادات أهل البيت ... وله مقالات في صناعة الكيمياء والزجر والفال ، وورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي 500 رسالة في فضله .))190 ، فيما قال كمال الدين محمد بن

183المصدر نفسه : ص168 .

184 عبد الكريم بن أبي العوجاء من أوائل الزنادقة و الملحدين في تاريخ الإسلام، وله مناظرة مع الإمام جعفر الصادق حول إثبات وجود الله. وقد كذب على الرسول محمد في ما يَقرُب 4000 حديث تم ضبطهم من قبل العلماء.

185 نقلا عن الحسيني الميلاني : المصدر السابق ، ص91 .

186نقلا عن الميلاني الحسيني : ص92 .

187 أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ) الناشر: مؤسسة الحلبي " الملل والنحل" ، ج1 ، مؤسسة الحلبي ، د ت ، ص166

188أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان ، 1417هـ - 1997م ، ص120 .

189 ابن الصباغ المالكي ، علي بن محمد بن أحمد المكي: الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ج1 ، ص24 .

190الحسيني الميلاني : المصدر السابق ، ص96 .

طلحة الشافعي ((الإمام الصادق (ع) ذو علوم جمة وعبادة موفورة ، وأوراد متواصلة وزهادة بينة وتلاوة كثيرة))191 ، وقال السويدي : وكان بين أخوته خليفة أبيه ووصيه نقل عنه من العلوم الشيء الكثير192 ... . وقال عنه الشيخ المفيد ((وقد نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان ، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه))193 . وقال عنه كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي ((واستفاد منه العالم لا سيما تلك الجماعة كانت في مدة من الزمن تأتمر بقرار داخل حدود قضاء المناذرة))194 .

191المصدر نفسه : ص97 .
192المصدر نفسه : ص98 .
193الشيخ المفيد : الإرشاد : ج1، تحقي(ع) ق مؤسسة آل البيت ، ط2، ص254 .
194السبتي : حسن ، مطالب : السوؤل (مخطوط) ، نسخة موجودة من هذا المخطوط ضمن مقتنيات خزانة كتب السبتي ، ص218.

الخاتمة :

لقد تبين لنا ومن خلال إدراكنا لمسيرة التاريخ على أن تلك المسيرة عبارة عن سلسلة من حلقات تفضي بعضها الى بعض ، بما معناه ان أحداث هذا التاريخ متسلسلة تسير بانسياق متعاقب . وهذا ما يلزم من يروم فهم حلقة (مرحلة) من حلقات التاريخ أن يلجا الى دراسة الحلقة السابقة واللاحقة للحلقة المراد دراستها . فدراسة ما سبقها ستعطينا بيانا واضحا لطبيعة الأوضاع التي هيأت ولربما لعقود او قرون من الزمن ، لوقوع ذلك الحدث ، في حين ان دراسة الحلقة اللاحقة للحلقة المطلوب دراستها ، سيعطينا بيانا كاشفا لمخرجات تلك الحلقة الوسط . وحين ذاك سيرتسم ومن خلال تلك الدراسة صورة واقعية لطبيعة تلك المرحلة بشتى صنوفها . وأمام هذه المعادلة تبين لنا في دراستنا هذه :

1- أن الغربيين مصممين على أن الحضارة الغربية هي محور كل الحضارات ، بحيث تذهب وتجيء كل الحضارات الأخرى إليها فتعطي وتأخذ . وهذا ما أسس للواقع ألاستكباري للغربي على الشرقي . وهو عكس الواقع بالتمام . وعمدوا الى ترسيخ ما يذهب إليه فوكو ياما في نظريته " نهاية التاريخ" وهنتغتون في نظرية " صراع الحضارات " وكولنجوود في نظريته " الجنس البشري " ، من أن الجنس الآري هو الأرقى من بقية أجناس العالم ، ولا بد ان يكون تابعا له ، وهذا ما يؤسس للفكر الاستعماري المقيت .

2- استنادا الى ما يذهب اليه شبنجلر في نظريته "المصير " من أن العالم الغربي في طور يشارف فيه الدخول الى عصر الأفول ونظر بتشاؤم الى الغرب إدراكا منه ان الحضارة الغربية واستنادا لسياستها إزاء الدول الأخرى ، فهي متجهة نحو الأفول .

3- تبين لنا كم هو الحيف الثقيل الواقع على الإبداع العربي والمسلم من تلك الجهات الغربية ، بحيث تم بخس حقوقهم ومنزلتهم ، إذ لا يزاحمون أحد ولا يتنافسون مع أحد ، بل وأنهم مشاريع ابتكارات ميتة لا روح لها . في حين ان الجانب الاخر ، كانوا قد اكتسبوا منصب " البطل في التاريخ " لتوماس كارليل ،استنادا لهذا المستوى من علميتهم وعطائهم حين استغنى عن أشخاص من أمثال العلماء

والمفكرين العرب المسلمين ، وصولا إلى ما كانوا عليه الأئمة ألاثني عشر (عليهم السلام) الكرام من عطاء علمي وفكري يضاهي بكثير ما عند أولئك الأشخاص ممن منحوا لقب البطل في التاريخ . وحين توغلنا ليس بعميق في عطاء الإمام جعفر الصادق (ع) للوقوف على حجمه ، اندهشت وتفاجأ كل من سمع او قرأ ما لهذا الشخص المميز من ثر العطاء، وعلى هذا الأساس وتلك المعيارية العلمية ، فهو يستحق ان يحوز الشخص الثاني بعد الرسول (ص) في سلسلة الأبطال في التاريخ ، والذي اتفق عليه معظم المؤرخين والمبدعين .

ثبت المصادر والمراجع :

أولا:- آي القرآن الكريم .

ثانيا : المخطوطات : - السوؤل (مخطوط) ، نسخة موجودة من هذا المخطوط ضمن مقتنيات خزانة كتب الدكتور السبتي .

ثالثا : الكتب العربية والمعربة المطبوعة :

- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) : الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان ، 1417هـ - 1997م.

- أحمد ناجي : منهج بحث وفلسفة التاريخ ،ط2، النجف الاشرف ، دار الضياء ، 2008 .

ـ إبراهيم سرور : ألإعجاز العلمي عند الإمام الصادق ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 2010 .
ـ بطرس البستاني : دائرة المعارف ، بيروت ، ج6،1883 .
ـ بحر العلوم ، محمد صادق ، الشيخ محمد رضا المظفر ، تحقيق: سعيد راد رحيمي تقديم: الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة 1987م .
ـ البراقي : السيد حسين بن السيد احمد البراقي النجفي ، تاريخ الكوفة ، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم الطبعة: سنة الطبع: ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م المطبعة: الناشر: ردمك
ـ جماعة من كبار المستشرقين : الأمام الصادق كما عرفه علماء الغرب ، ترجمة الدكتور نور الدين آل علي ، دار الذخائر للمطبوعات ، بيروت 1998 .
ـ الثقفي : إبراهيم بن محمد (283 هـ)، الغارات ، الجزء: ١ ، تحقيق: السيد جلال الدين ، دت
ـ حسين نور الدين : خليفة الله ، ج4، دار المحجة البيضاء ، بيروت لبنان ، 2010
الحر العاملي (ت: ١١٠٤) ، وسائل الشيعة ، ج18، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة: الثانية ، ١٤١٤ ، ردمك: ، 57- 59 .
ـ الشهرستاني (المتوفى: 548هـ) ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد ، الملل والنحل ، ج1 ، مؤسسة الحلبي ، د ت .
ـ ابن الصباغ المالكي ، علي بن محمد بن أحمد المكي: الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ج1، ج2، بيروت / دار الأضواء ،
ـ الصغير ، محمد حسين : الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت ، النجف الاشرف ، مؤسسة البلاغ ، 2012،
ـ الصدوق : الشيخ أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت 381هـ) ،الآمالي ، الجزء: ١ ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ ، الناشر: ردمك .
ـ الطبري : محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (224هـ ـ 310هـ) (839م ـ 923م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تعريب أبن سعد القرطبي

- محمد بن عبد الملك ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ليدن ، 1879م .
- الطهراني ، أقا بزرك: الذريعة الى تصانيف الشيعة ، دار الاضواء - بيروت ، دت .
- الطوسي : أبي جعفر محمد بن الحسن : كتاب الأمالي ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٤ المطبعة: الناشر: ردمك :
- المالكي ، ابن الصباغ : الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ج2، دار الأضواء ، بيروت ، ط 2، 1988.
- المفيد، الشيخ: الإرشاد : ج1، تحقيق مؤسسة آل البيت ، ط2
السبتي : حسن ، مطالب :
محمد يحيى الهاشمي : الإمام الصادق ملهم الكيمياء ، بغداد ، دت .
- المجلسي (ت 1111هـ) : بحار الانوار ، ج58 ، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، ط2، ردمك ، 1983،
الميرزا حسين النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل ، ج 2 ، مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث الناشر : مؤسسة آل البيت .
- محمد الخليلي : طب الامام الصادق (عليه السلام) ، منشورات الشريف الرضي ، النجف الاشرف ، 1970 ، دك .
- محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، الناشر: ردمك ، ١٤٠٤ ـ ١٣٦٢ .
- محمد حسن الميلاني : قادتنا كيف نعرفهم ، ج4 ، تحقيق محمد علي الميلاني ، مراجعة علي الحسيني الميلاني ، قم ، 1426 هـ .
المازندراني ، .حبيشي السروي (ت سنة 588 هـ): مناقب آل أبي طالب ، تحقيق مجموعة من أساتذة الحوزة في النجف الاشرف ، ج4، مطبوعات المكتبة الحيدرية ، 1956 .
- منذر الحكيم : أعلام الهداية : ،ج2 ، ترجمة بيشوان هدايت ، إيران ، المجمع العلمي لأهل البيت ، 1381هـ .

- أبن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن - النديم (المتوفى: 438هـ) ، الفهرست ، المحقق: إبراهيم رمضان الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان الطبعة: الثانية 1417 هـ - 1997 مـ .
- الواعظي ، الشيخ عبد الرسول : أشعة من بلاغة الامام الصادق ،بيروت ، 1980.

- ثالثا : الموسوعات والمطبوعات الحكومية :-

1- الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، النسخة العربية، الطبعة الأولى، دار الطليعة-بيروت، أكتوبر 1974.
2- ضمن سلسلة أعلام أهل البيت : أعلام الهدايا ... الإمام جعفر الصادق ، قم المقدسة

رابعا :الصحف والمجلات
النبأ (مجلة) ، العدد53، ك2001
خامسا : الابحاث والدراسات
- التميمي ، صافي نايف : مدرسة الامام الصادق عليه السلام ودورها الإنساني والرسالي ، بحث مشارك في مهرجان ربيع الرسالة الثقافي العالمي السابع .
سادسا : النت

- https://ar.wikipedia.org/wiki/- -
- http://www.iqtp.org/?p=12192

http://mawdoo3.com
:
https://www.aqaed.com/ahlulbait/books/askeugh/24.htm

:
https://www.aqaed.com/ahlulbait/books/askeugh/24.htm
https://annabaa.org/arabic/ahlalbayt/7309

https://annabaa.org/nba53/index.htm

http://www.alalam.ir/news/1897098
/
https://annabaa.org/arabic/ahlalbayt/7309
.https://www.marefa.org
https://annabaa.org/nba53/ilumimamsadq.htm

http://ar.wikishia.net/view

ttp://www.islamkutuphanesi.com/arabic_arapca/arabiconline/al-kafi/al-kafi-6/249.html
http://mawdoo3.com/% :
-:
http://www.basrahcity.net/pather/book/aam/teb-sadeq/03.htm

http://www.basrahcity.net/pather/book/aam/teb-sadeq/03.htm
http://www.alkawthartv.com/news/122485

المحتويات